كهنوت المؤمنين

(المسيحيين المولودين من جديد

(الأدلة على صدقها والرد على من ينكرها)

بقلم عوض سمعان

القسم الأول: كهنوت المؤمنين الحقيقيين العام، والأدلة على صدقه

الباب الأول: كهنوت المؤمنين الحقيقيين العام، ودائرة قيامهم به

كهنوت المؤمنين الحقيقيين

قال يوحنا الرسول لنا، نحن المؤمنين، عن المسيح له المجد: "الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه" (رؤيا1: 5، 6). كما قال لنا عنه إنه اشترانا بدمه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلنا ملوكاً وكهنة (رؤيا5: 9- 10).

وقال بطرس الرسول للمؤمنين الحقيقيين "كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية، بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (1بطرس 2: 5). كما قال لهم "وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (1بطرس2: 9).

ومن هذه الآيات يتضح لنا:

1- لا يراد بالكهنة الوارد ذكرهم فيها فئة خاصة من بين المؤمنين الحقيقيين[1]، بل يراد بهم هؤلاء المؤمنون جميعاً كما ذكرنا في المقدمة، لأن المسيح لم يحب فئة منهم دون فئة، بل جميعاً بدرجة واحدة، إذ ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد (عبرانيين2: 9).

وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن عدم معرفة أحد المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد أنه كاهن لله لعدم قيامه بخدمات دينية (مثلاً)، لا ينفي أنه كاهن له. لأن هناك فرقاً بين القيام بالكهنوت وبين القيام بالخدمات الدينية. فمن جهة الكهنوت، ليس هناك فرق بين مؤمن حقيقي وآخر، إذ أن المراد به، الاقتراب إلى الله والتمتع به وتقديم العبادة المقبولة أمامه- وجميع المؤمنين الحقيقيين لهم التمتع بكل هذه الإمتيازات (عبرانيين 4: 16). أما الخدمات الدينية، مثل الوعظ والتعليم فهي مقصورة على الذين ينالون مواهب روحية من الله (1بطرس 4: 10، 1كورنثوس 12: 1-10).

2- إن عمل كهنة العهد الجديد (أو بالحري المؤمنين الحقيقيين) ينحصر في تقديم الذبائح الروحية المقبولة لدى الله، وتخبير الناس عن فضائله[2]وهذان العملان ليسا مقصورين على فئة خاصة منهم، بل إنهما من امتيازهم جميعاً. ومن ثم يكون كهنوتهم كهنوتاً روحياً محضاً، كما ذكرنا في المقدمة، ولا يكون هناك ما يميز فريقاً منهم عن الفريق الآخر. أما الذبائح الروحية التي يجب عليهم القيام بها فكثيرة، أهمها: تكريس الحياة بأسرها لله (رومية 12: 1)، وتقديم التسبيح له، ومد يد العون إلى المحتاجين (عبرانيين13: 16). ونظراً لأننا سنتحدث بالتفصيل فيما يلي عن هذه الذبائح، نكتفي هنا بالإشارة إليها.

3- إن المؤمنين الحقيقيين ليسوا كهنة للناس بقدر ما هم كهنة الله. ومن ثم فإنهم لا يسعون إلى إرضاء الناس بل إلى إرضاء الله (غلاطية 1: 10). وإذا كان الأمر كذلك، فإن أي مؤمن بالاسم [3]، لا يمكن أن يكون كاهناً لله، حتى إذا دعا نفسه، أو دعاه الناس جميعاً، بهذا الاسم، وذلك لأنه ليست له علاقة حقيقية مع الله. أما المؤمنون الحقيقيون فهم جميعاً كهنة لله، حتى إذا لم يعترف لهم بعض الناس بهذا المقام.

4- إن كهنوت المؤمنين الحقيقيين يوصف بأنه كهنوت مقدس، ليس فقط بسبب ما يقومون به من أعمال مقدسة، بل قبل كل شيء بسبب دعوة الله إياهم للشركة معه. لأن هذه الدعوة هي التي غيرت مركزهم من خطاة

إلى قديسين. فمكتوب أنهم مدعوون قديسين (رومية 1: 7)، وذلك بفضل تقديم المسيح نفسه كفارة مرة واحدة على الصليب من أجلهم (عبرانيين 10: 10). فضلاً عن ذلك، فإن القداسة العملية التي يجب توافرها فيهم، تنشأ أولاً وأخيراً بواسطة انقيادهم بالروح القدس الساكن فيهم. أما محاولة إصلاح الطبيعة البشرية بالزهد والتقشف (مثلاً). فلا يجدي علينا خيراً. لأن الخطية ليست في الجسد بل في النفس.

5- إن كهنوت المؤمنين الحقيقيين جميعاً هو كهنوت ملوكي، وذلك لاقترابهم بالمسيح الذي هو الملك والكاهن معاً (رؤيا 19: 16، عبرانيين 10: 21). ومن ثم فإن جعل الله إياهم ملوكاً وكهنة لا يراد به (كما يقول بعض المسيحيين [4]) إن الله جعل فريقاً من المؤمنين كهنة بالمعنى الحرفي، وجعل الباقين ملوكاً بهذا المعنى- لأن المراد بجعلهم ملوكاً وكهنة، جعلهم "مملكة كهنة" أي مملكة أفرادها جميعاً كهنة كما يتضح من الأصل اليوناني.

وكون جميع المؤمنين الحقيقيين ملوكاً وكهنة في نفس الوقت، يراد به ثلاثة أمور:

(أ)-أنهم بارتباطهم بالله يحصلون على بركاته، وباتصالهم بالبشر يقودونهم إلى امتلاك هذه البركات منه لأنفسهم.

(ب)-أنهم بالإضافة إلى تعبدهم لله وخدمته، سيملكون مع المسيح عند مجيئه الثاني، لتأسيس ملكه على الأرض (لوقا 22: 29).

(ج)-أنهم بولادتهم ثانية من الله ملك الملوك، سكن فيهم بروحه، وإن شئت فقل سكن فيهم دمه الملكي، ومن ثم أصبحوا ملوكاً في الباطن قبل أن يكونوا ملوكاً في الظاهر. ولذلك فإنهم يترفعون عن دنايا الأرض كلها، ويحفظون أنفسهم في حالة التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية[5]، الأمر الذي يهيئهم للقيام بخدماتهم الكهنوتية الروحية بالحالة المرضية أمامه.

6- أخيراً نقول إن الوحي يصف المؤمنين الحقيقيين من حيث كونهم كهنة الله في العهد الجديد:

(أولاً)-بأنهم حجارة حية، لأنهم كانوا فيما سلف أمواتاً بالخطية، أما الآن فلهم بالمسيح حياة روحية تظل فيهم إلى الأبد (أفسس2: 1- 5).

(ثانياً)-بأنهم بيت روحي، لأنهم بيت الله (عبرانيين 3: 6)، ومسكنه (أفسس2: 22)، وهيكله (1كورنثوس6: 19)، وذلك من حيث حلول الله بالروح القدس فيهم كأفراد وكجماعة. لأن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيدي (أعمال7: 48).

(ثالثاً)-بأنهم جنس مختار، لأن الله اختارهم قبل تأسيس العالم، ليكونوا قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة (أفسس 1: 3- 4، 1بطرس 1: 1- 2).

(رابعاً)-بأنهم شعب اقتناء، لأن الله اقتناهم لنفسه (كشيء ثمين وغال) وذلك بدم المسيح الكريم (أعمال20: 28).

1- المؤمنون الحقيقيون هم الذين بتوبتهم عن الخطية وإيمانهم بالمسيح إيماناً حقيقياً، ولدوا من الله ثانية (1يوحنا 5: 1)، فحصلوا على طبيعة الأدبية (2بطرس1: 4)، التي تؤهلهم للتوافق معه في صفاتها. ومن ثم فإنهم يحيون من الآن حياة القداسة والعمل الصالح، وذلك بقوة الروح القدس الساكن فيهم (1كورنثوس6: 19).
2- الفضيلة هي السجية الأدبية، أما الفضل فهو الإحسان والمعروف، ولذلك فإن كان كل الناس يعرفون فضل الله عليهم، لكن كهنته وحدهم هم الذين يعرفون فضائله، وذلك لعلاقتهم الوثيقة به.
3- هو من اعترف بالفم فقط بأنه مسيحي. وليس من الضروري أن يكون هذا الشخص شريراً. فقد يكون مهذباً، وعارفاً بالكتاب المقدس، وقادراً على الوعظ والتعليم، غير أنه لا يكون مولوداً من الله أو حاصلاً على الروح القدس. ولذلك فإنه وإن كان يشبه المؤمن الحقيقي في الظاهر، غير أنه لا يكون مثله في الباطن.
4- هم الذين يحاولون أن يثبتوا من الكتاب المقدس، إن الله أقام فئة خاصة من بين المسيحيين تدعى كهنة بالمعنى الحرفي.
5- وهذا على النقيض من ملوك الأرض، فإنهم على الرغم من الجلال الذي يظهرون به أمام الناس، قد يكونون في الباطن عبيداً للنجاسة والفساد.

دائرة كهنوت المؤمنين الحقيقيين

1- بما أن ربنا يسوع المسيح يمارس خدمته الكهنوتية الآن في الأقداس السماوية (عبرانيين 8: 2). وبما أنه رئيسنا في خدماتنا

الكهنوتية الروحية (كما في كل شيء آخر)، لذلك تكون الدائرة التي نقوم فيها بهذه الخدمات هي هذه الأقداس عينها. فقد قال الرسول لنا "فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس (السماوية) بدم يسوع لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي" (عبرانيين 10: 19- 22). كما قال "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة (نفسه)، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" (عبرانيين4: 16).

2- وهناك فرق هائل بين المدة التي لنا أن نقضيها بحالة روحية في أقداس الله السماوية، وبين تلك التي كان يقضيها كهنة العهد القديم ورؤساؤهم بحالة جسدية في القدس أو قدس الأقداس الأرضي. فهؤلاء وأولئك كانوا يدخلون إلى هذا المكان أو ذاك في أوقات معينة فقط لتأدية خدماتهم الدينية الرمزية، ثم يخرجون تواً بعد تأديتها. أما في العهد الجديد، فبالإضافة إلى أن السماء التي نكهن فيها الآن بقلوبنا بالإيمان، ليس بها قدس وقدس أقداس، بل كلها أقداس (عبرانيين 10: 19)، لأن الله يملأ كل أرجاء السماء بمجده وجلاله، فإنه يمنحنا امتياز الإقامة بالإيمان في هذه الأقداس باستمرار، فقد قال الرسول إن الله أقامنا معاً وأجلسنا معاً في السماويات في المسيح (أفسس 2: 6)، كما قال "فإن سيرتنا نحن، هي في السموات (فيليبي 3: 20)- ولكي تتحقق لنا هذه الإقامة يجب أن نمتلئ أولاً بالإيمان بحضور الله، ثم نتأمل في عظمته وجلاله، وإحساناته وعطاياه و... و... حتى يأخذ الروح القدس بمجامع قلوبنا للخشوع والتعبد له. وإذا عجزنا يوماً عن هذا التأمل يمكن أن نردد في نفوسنا الآيات الكتابية أو الترانيم الروحية الخاصة بالله حتى ترتفع قلوبنا بالشكر والحمد ومن ثم يجب أن نضع أمامنا، لا أن نكون بقلوبنا في الأقداس بالإيمان في أوقات الصلاة فقط، بل وأيضاً عند القيام بأي عمل من أعمالنا الدنيوية. فقد قال الرسول "وكل ما عملتم بقول أو فعل، فاعملوا الكل باسم الرب يسوع (أو بالحري تحت رياسته) شاكرين الله والآب به" (كولوسي 3: 17)، وبذلك تكون كل أعمالنا مقدسة، وفي الوقت نفسه تكون ممجدة لله أبينا.

3- والإقامة بالإيمان في الأقداس السماوية في كل حين، تسبب لنا فرحاً لا ينطق به ومجيد، كما تقوى علاقتنا الروحية مع إلهنا. ومن ثم يمكن أن ننمو في النعمة وفي معرفته. فضلاً عن ذلك فإنها توضح لنا ما يتعذر علينا فهمه من الحقائق الكتابية التي أعلنها لنا، وتكشف لنا عن

مشيئته في كل ناحية من نواحي الحياة. كما تنظم لنا ظروفنا وأمورنا الدنيوية، وتعطينا القدرة للتغلب على العوائق التي تعترضنا من جهتها.

4- وفي الأقداس السماوية نجد أيضاً حياة المناعة ضد الخطية، والقدرة للنصرة عليها إذا واجهتنا. وفيها نجد العزاء إذا هاجمتنا الأحزان، والقوة إذا شعرنا بالضعف، والحكمة إذا تسرب إلينا الجهل، والري والشبع إذا أحسسنا بالعطش والجوع، والرجاء إذا تعرضنا لليأس. وفيها يجتذب الله نفوسنا نحوه، فتسمو إليه وترقى، وبذلك نعيش في جو كله قداسة. وبالإضافة إلى ذلك، تتأصل فينا صفات الله الأدبية حتى أن كل من يرانا يقر أننا بالحقيقة أولاده. وفي هذه الأقداس ندرك أيضاً مقدار محبة الله للخطاة ورغبته الصادقة في خلاصهم فتتقد عواطفنا فينا حباً لهم وعطفاً عليهم، وننال منه المواهب اللازمة للإتيان بهم إلى حضرته.

5- حقاً ما أطيب الحياة في الأقداس، وما أسماها، وما أكثر فوائدها. إن أتقياء اليهود، مع عدم تمتعهم بالبركات السماوية التي نتمتع بها نحن في العهد الجديد، كانوا يتوقعون من كل قلوبهم للتمتع بحضرة الله المرموز إليها بهيكلهم الأرضي. فقد قال واحد منهم "كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله!!" (مزمور 42: 1- 2). وقال أيضاً "ما أحلى مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي... لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي، على السكن في خيام الأشرار" (مزمور 84: 1- 10). وقال غيره "واحدة سألت من الرب وإياها التمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله" (مزمور 27: 4)- وإذا كان الأمر كذلك، فكم يجب أن تكون أشواقنا للوجود بقلوبنا في السماويات!! وكم يجب أن يكون حرصنا على البقاء فيها بقلوبنا في كل وقت من الأوقات.

6- أخيراً نقول: إذا رجعنا إلى كتب التاريخ الكنسي، نرى أن كل المؤمنين الحقيقيين كانوا يعتبرون أيضاً قديماً كهنة لله. فقد جاء في الدسقولية "ولا نأمر كل الكهنة أن يعمدوا بل يعمد الأسقف والقس، ويخدم معهما الشماس[1]"(ص 144)- وأشخاص يطلب منهم عدم القيام بالعماد وحده. وفي الوقت نفسه يدعون كهنة هم ولا شك، المؤمنون الحقيقيون العاديون. ومما يثبت ذلك أن صاحب (كتاب الخريدةالنفسية في

تاريخ الكنيسة)، على الرغم من تمسكه بالتقاليد، قال في (ج 1 ص 148) من كتابه هذا: "إن الكاهن لم يكن يراد به (في أول الأمر) واحد من الأكليروس فقط، بل وكان يراد به أيضاً الواعظ وخادم الكلمة والقارئ والمرتل والبواب"- لأنه حتى البواب، كان في القرون الأولى مؤمناً حقيقياً.

وقد أشار أحد أفاضل الأرثوذكس القدامى إلى كهنوت المؤمنين الحقيقيين العام فقال: "النفس هي هيكل الله. والقلب هو المذبح المقدس الذي تقدم عليه ذبائح التسبيح والحب الطاهر. والعقل هو الكاهن الذي يقوم بشرف الخدمة هناك" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 181)، الأمر الذي يدل على معرفتهم ليس فقط بسمو هذا الكهنوت وروحانيته، بل وأيضاً على معرفتهم بشموله لكل هؤلاء المؤمنين.

6- كلمة "أسقف" معربة من كلمة "أبسكوبوس" اليونانية، ومعناها "ناظر". وكلمة "قسيس" معربة من كلمة "قشيشو" السريانية، ومعناها "شيخ" وكلمة "شماس" معربة من كلمة "شمشونة" السريانية ومعناها "خادم".

الباب الثاني: مقارنة بين كهنوت العهد القديم، وكهنوت العهد الجديد

من جهة شرط التعيين والواجبات الشخصية

1- تناسل كهنة العهد القديم من هرون:

كان الشرط الأول الذي يجب توافره في كهنة العهد القديم، أن يكونوا من أبناء هرون رئيس الكهنة. ولذلك إذا رجعنا إلى أحد ظروف الفوضى الدينية التي اجتاز فيها بنو إسرائيل قديماً، نرى أن نحميا أصدر أمراً بأن كل شخص يشغل مركز الكهنوت، لا يستطيع إثبات نسبته إلى هرون، كان يعزل من مركزه هذا (نحميا 7: 64). كما أنه عندما تصدر أشخاص من غير أبناء هرون ليكونوا كهنة قبل ذلك بسنوات، قضى الله عليهم في الحال (العدد 16: 31).

والمؤمنون الحقيقيون الذين أصبحوا كهنة لله في العهد الجديد، لم يولدوا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله نفسه (يوحنا 1: 13)[1]- ومن ثم فكل شخص غير مولود من الله ولادة

روحية، لا يستطيع القيام بأعباء الكهنوت الروحي. نعم قد تخطى عبادة أو خدمة هذا الإنسان بإعجاب الناس، إذا كان على شيء من الثقافة أو طلاقة اللسان، لكن إعجاب الناس شيء، ورضى الله شيء آخر.

2- خلوهم من العيوب:

فقد كلم الرب موسى قائلاً "إذا كان رجل في نسلك فيه عيب، فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه... لا رجل أعمى ولا أعرج ولا أفطس ولا زوائدي. ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد. ولا أحدب ولا أكشم ولا في عينه بياض. ولا أجرب. ولا أكلف ولا مرضوض الخصى[2]" (لاويين21: 16- 20)- فولادة شخص من سلالة هرون لم يكن كافياً لجعله كاهناً، بل كان من الواجب أيضاً أن يكون خالياً من العيوب الجسيمة.

وهكذا الحال من جهة المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد، فإنهم مع كونهم أبناء الله، لكن إذا بدا في واحد منهم أي خطأ في سلوكه، لا يستطيع القيام بالخدمات الكهنوتية التي تتفق مع مشيئته تعالى.

3- تاريخ تولي الكهنوت واعتزاله:

كان أبناء هرون يتولون الكهنوت من سن الثلاثين، إلى سن الخمسين (العدد4: 29).

أما المؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، وإن كان لهم أن يمارسوا كهنوتهم بالحالة التي ترضي الله دون التقيد بسن معينة، لكن لا يستطيعون ممارسته، إلا إذا كانوا ناضجين في الإدراك الروحي، الأمر الذي كان يرمز إليه بسن الثلاثين. وكانوا أيضاً غير مصابين بالوهن الروحي، الذي كان يرمز إليه بسن الخمسين.

4- عدم الزواج بأرملة أو مطلقة أو زانية، بل بعذراء من بيت الكهنوت:

نظراً لأن الكهنة مقدسون لله (لاويين 21: 7)، لذلك فبالإضافة إلى الشرط العام بوجوب عدم زواج إسرائيلي من سبط غير سبطه، لبقاء أملاك كل سبط كما هي دون تغيير أو تبديل (العدد 36: 6و 7)، كان من الواجب على الكاهن ألا يتزوج إلا بعذراء عفيفة، وذلك للمحافظة على قدسية الكهنوت الذي ينتمي إليه.

والمؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، بوصفهم كهنة لله، بالإضافة إلى وجوب محافظتهم على أن تكون حياتهم العائلية بعيدة عما يشوب قدسيتها، يجب أن يكونوا في شركة روحية مع الله، ضاربين بعرض الحائط كل مغريات العالم الحاضر.

5- عدم التنجس بلمس ميت:

فقد أمر الله ألا يتنجس أحد من الكهنة لميت من قومه (لاويين 21: 1)، ذلك لأن الموت هو نتيجة الخطية في العالم الحاضر (رومية 5: 12). ومن ثم فإن لمس الميت كان يعتبر شرعاً اشتراكاً في نجاسة الخطية على نحو ما. فضلاً على ذلك، كان من الواجب على الكهنة ألا يحزنوا حزناً مفرطاً لميت لديهم، مثل باقي الناس. فعندما مات ابنا هرون، قال الله لابنيه الباقيين ألا يكشف أحدهما رأسه أو يشق ثيابه لئلا يموت (لاويين 10: 6).

والمؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد يجب أن يمتنعوا ليس عن الشر وشبه الشر فحسب (1تسالونيكي 5: 22)، بل يجب أن يحافظوا أيضاً على قداستهم الكهنوتية، بالارتفاع فوق الظروف مهما كان شأنها. فمثلاً يجب ألا يفرحوا مثل أهل العالم بالالتجاء إلى ملذاته وتسلياته. كما يجب ألا يحزنوا كالباقين، الذين لا رجاء لهم في مجيء الرب وقيام الراقدين (1تسالونيكي 4: 13)، أو يرزحوا تحت هموم العالم ومشاكله كما يفعل غيرهم، وذلك لكي يستمروا في أداء واجباتهم الكهنوتية دون عائق أو مانع.

6- المحافظة على سلوك أولادهم بالقداسة:

فقد قال الله لموسى النبي "إذا تدنست ابنة كاهن بالزنى، فقد دنست أباها. بالنار تحرق" (لاويين 21: 9).

والمؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، بوصفهم كهنة الله، يجب أن يربوا أبناءهم بتأديب الرب وإنذاره (أفسس 6: 4)، حتى ينقذوهم من الهاوية (أمثال 23: 13و 14). كما يجب على الأبناء أن يقبلوا تأديب آبائهم (أمثال 13: 1). فضلاً عن ذلك، فإننا إذا رجعنا إلى الشروط الواجب توافرها في الأسقف، نرى أنه من الواجب أن يكون مدبراً بيته حسناً، وأن يكون أولاده في حالة الخضوع بكل وقار (1تيموثاوس 3: 4).. وبذلك

يستطيع كل مؤمن حقيقي أن يقول مع يشوع "أما أنا وبيتي فنعبد الرب" (يشوع24: 15).

7- عدم تقليد الآخرين في عاداتهم أو عباداتهم:

فقد قال تعالى لبني إسرائيل عامة ولكهنتهم خاصة "أنا الرب إلهكم. مثل عمل أرض مصر التي سكنتم فيها لا تعملوا، ومثل عمل أرض كنعان التي أنا آت بكم إليها لا تعملوا. وحسب فرائضهم لا تسلكوا. أحكامي تعملون وفرائضي تحفظون لتسلكوا فيها. أنا الرب إلهكم" (لاويين 18: 9- 14). كما أمرهم ألا يجعلوا قرعة على رؤوسهم، أو يحلقوا عوارض لحاهم، أو يعملوا جراحة في أجسامهم كما يفعل الوثنيون عند حزنهم (لاويين21: 1- 5).

والمطلوب من المؤمنين الحقيقيين بوصفهم كهنة الله في العهد الجديد، ألا يقلدوا غيرهم في شيء من فرائضهم أو طقوسهم الدينية، أو حتى في شيء من تصرفاتهم وعاداتهم الاجتماعية، بل أن يتغيروا عن شكلهم بتجديد أذهانهم لكي يختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رومية12: 2)، لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة. وأي اتفاق للمسيح مع بليعال. وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان!!" (2كورنثوس 6: 14و 15). فهم شعب سماوي (1كورنثوس 15: 48)، وسيرتهم هي في السموات (فيلبي3: 20). والوحي الإلهي هو نبراس حياتهم على الأرض، ومن ثم يسيرون في ضوئه دون سواه.

8- عدم الارتباط بأي نصيب في الأرض:

فبسبب علاقة الكهنة الخاصة بالله، لم يكن لهم نصيب في الأرض مع إخوتهم بني إسرائيل، إذ كفاهم غنى أن يكون تعالى هو نصيبهم (تثنية10: 9، 18: 1- 2)، وذلك لكي يتفرغوا لخدمته بكل إخلاص. وفي مقابل هذه الخدمة، أعطاهم الله أن يأخذوا من أقداسه شيئاً كثيراً (العدد18: 8)، يكفي لإعالتهم هم وذويهم.

والمؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، بوصفهم أشخاصاً سماويين، يجب أن يعيشوا كغرباء في العالم (1بطرس 2: 11)، حاصرين كل أملهم ورجائهم في المسيح، متشبهين بمريم التي وجدت فيه النصيب الصالح الذي لن ينزع منها (لوقا 10: 42). ولذلك يحرضنا الرسول قائلاً "إن

كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله[3]. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كولوسي 3: 1و 2). كما أمرنا الرب بالقول "لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم" (متى 6: 33). أما الذين يتفرغون من المؤمنين الحقيقيين لخدمة الرب، فالرب كفيل بإمدادهم بكل ما يحتاجون إليه من الأمور المادية. فقد قال "لأن الفاعل مستحق طعامه" (متى10: 10). وقال الرسول "لأنه ينبغي للحراث أن يحرث على رجاء، وللدارس على رجاء، أن يكون شريكاً في رجائه" (1كورنثوس9: 10).

9- الامتناع عن المسكر:

فقد كلم الرب هرون قائلاً "خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك، عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا. فرضاً دهرياً في أجيالكم" (لاويين 10: 8- 9)، وذلك لأن الخمر تسلب الوعي والإدراك، ومن ثم تحرم الكاهن من الرزانة والوقار اللازمين في خدمة الله.

والمؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، يجب ألا يسكروا بالخمر التي فيها الخلاعة، بل أن يمتلئوا بالروح القدس (أفسس5: 18)- والخمر ترد في الكتاب المقدس ليس بالمعنى الحرفي فقط، بل وبالمعنى المجازي أيضاً. والمعنى المجازي لها هو شهوة الجسد وشهوة العيون، وتعظم المعيشة أي الترف والبذخ (1يوحنا 2: 16). لأنه إذا وقع أحد المؤمنين الحقيقيين تحت تأثير هذه الأمور، يعجز عن القيام بالعبادة والخدمة اللائقتين بالله.

10- التأثر المستمر بالشريعة الإلهية والعمل بها كل حين: فقد قال موسى النبي لبني إسرائيل بصفة عامة، وللكهنة منهم بصفة خاصة، أن يربطوا شريعة الله علامة على أيديهم، وأن يجعلوها عصائب بين أعينهم، وأن يكتبوها على قوائم بيوتهم وأبوابهم. لكي يتكلموا بها حين يجلسون، وحين يمشون، وحين ينامون، وحين يستيقظون (تثنية 6: 7- 9، 11: 18- 20)، حتى يستطيعوا القيام بالخدمات الكهنوتية بالحالة التي ترضي الله.

والمؤمنون الحقيقيون، بوصفهم كهنة الله في العهد الجديد، يجب أن تسكن فيهم كلمة المسيح بغنى، وبكل حكمة يجب أن يعلموا وينذروا

بعضهم بعضاً (كولوسي 3: 16)، لكي تكون نفوسهم في السماويات، وتكون كل حركاتهم وسكناتهم لأجل مجد الله وخير بني جنسهم.

7- أي ليس من سلالة بشرية خاصة، أو نتيجة رغبة من الرغبات الجسدية، أو نتيجة التناسل الطبيعي من أشخاص أتقياء.
8- الأفطس هو صاحب الأنف المنبسطة في الوجه. والزوائدي هو من كان عدد أصابعه أكثر من المعتاد. والأحدب هو من تقوس ظهره. والأكشم هو الناقص الخلق. والأجرب هو المصاب بالجرب. والأكلف هو من كان يوجد بوجهه نمش (أي نقط سوداء وأخرى حمراء). ومرضوض الخصى هو من دقت أو عصرت فيه.
9- الله ليس له يمين أو يسار لأنه لا يتحيز بحيز، بل المراد باليمين هنا، مركز العزة والقدرة.

من جهة كيفية التعيين للكهنوت

بالرجوع إلى (خروج 29: 1- 37، لاويين 8: 1- 36)، يتضح لنا أن أبناء هرون تعينوا للكهنوت بالاقتران مع أبيهم. وقول الكتاب المقدس عن هرون وبنيه "ليكهن" (خروج 28: 1) وليس "ليكهنوا"، دليل على وحدتهم معه في الكهنوت. ومن ثم فإن كان هرون وحده يرمز إلى المسيح، فإن هرون وبنيه معاً يرمزون إلى المسيح والمؤمنين الحقيقيين، لأن هؤلاء متحدون بالمسيح اتحاداً روحياً على أساس قيامته من الأموات. فقد قال الوحي إنهم من لحمه وعظامه (أفسس 5: 30). كما قال: إن المقدس (أي المسيح) والمقدسين (أي المؤمنين الحقيقيين)، جميعهم من واحد (عبرانيين2: 11).

وطريقة تعيين أبناء هرون للكهنوت على وجه الإجمال، هي ذات طريقة تعيين أبيهم له. وقد تحدثنا في كتاب كهنوت المسيح، عن طريقة تعيين هرون بوصفه رمزاً إلى المسيح، وسنتحدث فيما يلي عن طريقة تعيين أولاده بوصفهم رمزاً إلى المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد، ولذلك نقول.

1- تقديم أبناء هرون إلى باب خيمة الاجتماع:

إن هذا العمل دليل على أن تعيينهم للكهنوت هو بناء على إرادة الله وحده وليس بناء على رغبتهم الشخصية أو اختيار بعض الناس لهم.

وهكذا الحال من جهة المؤمنين الحقيقيين، فهم مدعوون للكهنوت ليس بناء على رغبتهم الشخصية أو اختيار هيئات دينية لهم بل بناء على دعوة الله وحده لهم، وذلك على أساس إيمانهم الحقيقي بالمسيح واتحادهم الروحي به. فقد قال الوحي إنهم شركاء الدعوة السماوية (عبرانيين 3: 1)، وإن الله اختارهم بمقتضى علمه السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح" (1بطرس1: 2).

2- غسلهم بالماء:

كان موسى، بوصفه النائب عن الله وقتئذ، يغسل بني هرون عند تقديمهم إلى خيمة الاجتماع. وبعد ذلك كانوا يغسلون هم أنفسهم. والغسل المسند إلى موسى يراد به (في اللغة الأصلية) غسل الجسد كله. أما الغسل المسند إلى بني هرون، فيراد به في هذه اللغة غسل الأطراف فحسب. ومن ثم:

(أ)-فإن الاغتسال الأول إشارة إلى التطهير الكامل الذي قام الله نفسه به لأجلنا مرة واحدة وإلى الأبد، وذلك على أساس الإيمان الحقيقي بالمسيح. فقد قال الوحي "أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة" (أفسس 5: 26) وقال أيضاً "وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (1كورنثوس 6: 11). كما قال أن المسيح أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه (رؤيا 1: 6)- وبما أننا لم نقم بهذا الاغتسال أو التطهير بل قام الله وحده به لأجلنا، لذلك يكون اغتسالاً أو تطهيراً اكتسابياً أو شرعياً. ولا مجال لتكرار هذا الاغتسال أو التطهير بأي حال من الأحوال (وذلك لبقاء فعالية كفارة المسيح كما هي إلى الأبد) أما الغرض منه فهو جعلنا مقبولين أمام الله إلى الأبد.

(ب)-إن الاغتسال الثاني إشارة إلى الاغتسال أو التطهير الذي نقوم به بأنفسنا للقضاء على أي شر، يمكن أن ينبع من الطبيعة العتيقة الكامنة فينا، أو يعلق بنا من تصرفات الأشرار الذين نلتقي بهم في العالم، وذلك بوضع نفوسنا تحت سلطان كلمة الله الحية الفعالة التي هي أمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ (عبرانيين4: 12)، والتي لم يكن الماء المستعمل قديماً للتطهير إلا رمزاً ضئيلاً إليها (أفسس5: 26)[1]- وهذا الاغتسال أو التطهير من الجائز أن يتكرر في اليوم الواحد مرات متعددة، لتعرضنا للخطأ من وقت لآخر.

ونظراً لأننا نحن الذين نقوم بهذا التطهير، يكون تطهيراً عملياً أو ذاتياً. والغرض من هذا التطهير أو الاغتسال هو التهيؤ للقيام بعبادة الله وخدمته بالحالة المرضية أمامه. وقد أشار الوحي إليه فقال "فإن طهر أحد نفسه من هذه، يكون إناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح" (2تيموثاوس 2: 21). وقال أيضاً "طهروا نفوسكم في طاعة الحق" (1بطرس1: 22). وأيضاً "وكل من عنده هذا الرجاء به (أي المسيح) يطهر نفسه كما هو طاهر" (1يوحنا3: 4).

ونظراً لأن المسيح قد غسلنا وطهرنا من خطايانا بدمه الكريم، يجب أن نحفظ أنفسنا في حالة الطهارة العملية، وذلك بالوجود في كل حين في حالة الشركة الروحية مع الله والطاعة الكاملة لوصاياه كما ذكرنا وإلا فإننا نحرم أنفسنا من القيام بالعبادة والخدمة المرضيتين أمامه، الأمر الذي كان يرمز إليه قديماً بالقضاء بالموت، على من يهمل الاغتسال من بني هرون قبل الدخول إلى أقداس الله (خروج 30: 19، 20). فمركزهم هذا وإن كان عظيماً، غير أنه لم يكن ليحميهم من قضاء الله إذ أن الله لا يطيق رؤية شيء من النجاسة في أي شخص يدنو منه، مهما كانت مكانته...

وقد أشار المسيح له المجد إلى هذين النوعين من الاغتسال في آية واحدة، فقال لبطرس الرسول: "الذي اغتسل (أو بالحري اغتسل بأكمله، كما يتضح من اللغة الأصلية) ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله" (يوحنا13: 10). فالاغتسال الأول إشارة إلى التطهير الكامل بالإيمان الحقيقي بالمسيح (أعمال 15: 9). والاغتسال الثاني إشارة إلى تنقية المؤمن المطهر بالدم الكريم، من أي خطية تعلق به بعد الإيمان، وذلك بوضع نفسه تحت تأثير كلمة الله- كما أشار له المجد على وجوب اقتران التطهير الثاني بالأول للتهيؤ للشركة معه، فقال لبطرس أيضاً "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معي نصيب" (يوحنا 13: 8). فالمسيحية لا تتساهل مع الخطية، كما يظن بعض الناس، بل تدينها أكثر مما كان يفعل الناموس قديماً.

3- وضع الملابس عليهم:

بعد الاغتسال، كان موسى يقوم بوضع الملابس على بني هرون (أ). وكانت هذه الملابس تستر أجسامهم من أولها إلى آخرها- ومن ثم كانت رمزاً إلى البر الإلهي الذي يخلعه الله على المؤمنين الحقيقيين (رومية 3:

22) بناء على إيمانهم الحقيقي بكفارة المسيح، حتى لا يبدو منهم شيء من العيوب.كان موسى يقوم بوضع الملابس على بني هرون (أ). وكانت هذه الملابس تستر أجسامهم من أولها إلى آخرها- ومن ثم كانت رمزاً إلى البر الإلهي الذي يخلعه الله على المؤمنين الحقيقيين (رومية3: 22) بناء على إيمانهم الحقيقي بكفارة المسيح، حتى لا يبدو منهم شيء من العيوب.

ونظراً لأننا سنتحدث في الفصل التالي عن هذه الملابس، وما ترمز إليه من معان روحية، نكتفي هنا بهذه الإشارة.

4- تقديسهم:

بعد عمل ذبائح الخطية والمحرقة والملء- التي ذكرنا شيئاً عنها في طريقة تعيين هرون في "كتاب كهنوت المسيح"- كان موسى يأخذ من دم الذبيحة الأخيرة، ويضع على شحم آذان بني هرون وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى. ثم يأخذ من الدم الذي على المذبح ومن دهن المسحة العطر، وينضح أيضاً على ثيابهم فيتقدسون هم وثيابهم (ب). وإزاء هذا نقول:

إن دم الذبائح رمز إلى دم المسيح الكريم. ومسح الأعضاء المذكورة به رمز إلى أنها أصبحت ملكاً لشخصه الكريم. ودهن المسحة [2]العطر رمز إلى الروح القدس في ثماره الطيبة (غلاطية 5: 22). ومسح الكهنة به بعد مسحهم بالدم رمز إلى حلول الروح القدس عليهم بعد تطهيرهم من خطاياهم لكي يهيئهم لخدمة الله وطبعاً لم يكن من الممكن أن يمسحوا بالدهن قبل أن يمسحوا بالدم، لأن التطهير يسبق التقديس- ونضح ثيابهم أيضاً بالدم والدهن رمز إلى أنهم ملك لله ومقدسون له، ليس من جهة الباطن فقط، بل ومن جهة الظاهر أيضاً.

والمؤمنون الحقيقيون اشتروا بدم المسيح، ويجب أن يمجدوا الله في أجسادهم وفي أرواحهم التي هي لله (1كورنثوس6: 20)، ومن ثم فإنهم بنعمة الله لا يخلصون من عقوبة خطاياهم فقط، بل يخلصون أيضاً من ذواتهم وميولهم الدنيوية. كما أن سكنى الروح القدس فيهم بعد ذلك يجعلهم مقدسين للرب. وقادرين على التمتع به، والقيام بخدمته- لأن الغرض من التقديس ليس الانفصال عن الأشرار فقط، بل والالتصاق بالرب أيضاً- ولكن إذا لم يخضع أحدهم للروح القدس في أمر ما (ج)،

فإنه للأسف يحزنه (أفسس4: 30)، وبالتبعية يحرم نفسه من القدرة على القيام بالعبادة التي ترضي الله.

5- امتلاؤهم:

بعد ما وضع بنو هرون أيديهم على ذبيحة الملء (التي كانت ترمز إلى المسيح من حيث كفاية كفارته لملء القلوب وجعلها بأكملها ملكاً لله)، قبضوا بعد ذبحها على شحمها وزيادة الكبد فيها وكليتيها وساقها اليمنى، مع ثلاثة أنواع من الفطير: الأول مدهون بالزيت، والثاني ملتوت به، والثالث خال منه. ثم قاموا بترديد هذه كلها أمام الله (لاويين 8: 27). وإزاء ذلك نقول:

الشحم رمز إلى كمال المسيح الزاخر. وزيادة الكبد (أو الحجاب الحاجز الذي يتحرك عند كل شهيق وزفير) [3]رمز إلى أن كل أنفاس المسيح كانت سماوية، والكليتان بما فيهما من أوعية دقيقة رمز إلى أن دقائق حياة المسيح كانت كلها لأجل مجد الله. والساق اليمنى رمز إلى قوة كفاية كفارته له المجد.

والفطير، لخلوه من الخمير الذي يشار به إلى الشر (1كورنثوس 5: 7) رمز إلى الحياة الطاهرة (1كورنثوس5: 8). والزيت كما مر بنا رمز إلى الروح القدس. ومن ثم تكون الثلاثة الأنواع من الفطير رمزاً إلى المسيح الذي لم يعرف خطية (2كورنثوس 5: 21)، والذي حبل به في بطن العذراء بالروح القدس (لوقا1: 35)، والذي مسح بعد ذلك به للقيام بالخدمة التي أتى من السماء لأجلها (لوقا3: 21). وقبض الكهنة بأيديهم على كل ما تقدم رمز إلى امتلاك المؤمنين الحقيقيين للمسيح مع كل بركاته أمام الله.

وترديد الكهنة للتقدمات المذكورة أمام الله، رمز إلى اعتزاز المؤمنين الحقيقيين بالمسيح وتقديرهم لكماله، وتأملهم في مقاصد الله العجيبة من جهة بذله كفارة عنهم، الأمر الذي يقودهم إلى تقديم السجود بكل سرور أمام الله- أما الذين لم يختبروا نتائج كفارة المسيح في نفوسهم، بل لا يزالون يجاهدون في الحصول على الخلاص بمجهودهم الشخصي (كما يقولون)، فإنهم للأسف لا يعرفون ما هو السجود[4]، مثلهم في ذلك مثل بني إسرائيل عندما كانوا لا يزالون في أرض العبودية، فإنهم لم يعرفوا

هناك معنى التعبد لله (خروج5: 1و 3). لكن عندما تحرروا منها وانطلقوا إلى البرية، تعلموا كيف يقومون بعبادة الله وخدمته.

10- وقد أشار الله حتى في العهد القديم إلى وجوب الاغتسال بالمعنى الروحي. فقال لبني إسرائيل "اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني" (إشعياء 1: 16). وقال لأورشليم "اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم، لكي تخلصي" (إرميا4: 14).
11- مما تجدر الإشارة إليه أن الدهن لم يكن يصنع للاستعمال العام، أو يوضع منه على شخص غريب عن الكهنوت (خروج30: 33)- وكان هذا رمزاً إلى أن الروح القدس ليس له بديل أو نظير، ورمزاً أيضاً إلى أن غير المولود من الله لا يستطيع القيام بالصلاة أو الخدمة لله، لأن العامل في أداء هذه وتلك هو الروح القدس دون سواه (رومية 8: 26). وإذا قام بعمل منهما من تلقاء ذاته، لا يمكن أن يحوز عمله رضى الله، لأن هذا العمل يكون ملطخاً بما في الطبيعة من شر وفساد.
12- ولذلك وردت في ترجمة Knox (مثلاً) بما تعريبه "غطاء الكبد"، وما يغطي الكبد هو الحجاب الحاجز.
13- لا يراد بالسجود مجرد الركوع، بل سكب كل ما في القلب من حب وتقدير أمام الله، وذلك تحت التأثر بعظمته ومحبته وعطاياه التي لا حد لها. فالساجد لا يفكر إلا في الله ولا ينشغل إلا به، ولذلك لا ينطق إلا بعبارات الحب والتسبيح له.

من جهة الملابس الكهنوتية

بالرجوع إلى (خروج28: 4- 40)، نرى أن ملابس أبناء هرون كانت تتكون من أربعة أنواع رئيسية هي: القميص والسروال والمنطقة والقلنسوة. وفيما يلي وصف لكل منها، وما يدل عليه من معنى روحي:

(أولاً) القميص:

وكان يصنع من الكتان الأبيض، ولم يكن مكوناً من أجزاء مثبتة بعضها بالبعض الآخر، بل كان كله من نسيج واحد، ومن ثم فهو رمز إلى بر المسيح، الكامل من كل النواحي. والذي يرى الله المؤمنين الحقيقيين لابسين إياه على أساس اتحادهم الروحي بشخصه المبارك، ورمزاً أيضاً إلى الطهارة التي يجب أن يعيشوا فيها أمامه كل حين، سواء في السيرة أو في السريرة.

(ثانياً) السروال:

وكان يصنع أيضاً من الكتان النقي الأبيض. وكان الغرض منه ستر العورة التي كشفتها الخطية، فجعلت الإنسان يخجل ويرتعب من الله (تكوين3: 7- 11). والشيء الوحيد الذي يستر الخطية من أمام الله هو كفارة المسيح، لأنها هي التي وفت كل مطالب عدالته إلى الأبد. أما الذين يهدئون ضمائرهم من جهة خطاياهم بالالتجاء إلى الفرائض الدينية، فإنهم يخطئون كثيراً، لأن هذه الفرائض لا تستر خطية واحدة من خطاياهم، لعدم قدرتها على إيفاء مطالب عدالة الله، إذ أن هذه لا حد لها، بينما الفرائض الدينية مهما كثرت وتنوعت هي محدودة، والأمور المحدودة لا تفي مطالب أمر لا حد له.

ومما تجدر الإشارة إليه أن السروال كان يغطي الساقين إلى الحقوين، ومن ثم كان يخفي إلى التمام موضع القوة في الإنسان، هذه القوة التي يستخدمها الإنسان الجسدي في عمل إرادته الشخصية أو بالحري في مقاومته لله، كما كانت الحال مع يعقوب (تكوين 32: 25)- وهذا رمز إلى عدم إمكانية الاقتراب إلى الله، إلا بعد الشعور بالضعف وعدم القدرة الذاتية على مواجهته تعالى (إشعياء6: 5).

(ثالثاً) المنطقة (أو الحزام):

وكانت تصنع من الكتان النقي الأبيض، وكان الغرض من استعمالها تركيز قوى الكاهن حتى يقوم بالخدمة المطلوبة منه على أفضل وجه. ومن ثم فهي رمز إلى حصر المؤمنين الحقيقيين لعواطفهم وأفكارهم ضمن دائرة الحق الإلهي، لكي تكون بأسرها متجهة إلى الله، إذ بدون هذا العمل لا يكون هناك مجال أمامهم للاقتراب منه أو القيام بخدمته. وقد أشار الوحي إلى وجوب استعمال المؤمنين للمنطقة الروحية فقال لهم "فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق" (أفسس6: 14). كما قال لهم "لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين. فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم، عند استعلان يسوع المسيح" (1بطرس 1: 13). الأمر الذي يدل على أن المجيء الثاني للرب، لا يكون له أيضاً تأثير على قلوب المؤمنين، إلا إذا كانوا يمنطقون ذواتهم بحق الله.

(رابعاً) القلنسوة:

وهذه الكلمة مشتقة في العبرية من فعل يدل على الارتفاع، لأنها كانت تحيط بالرأس في شكل حلزوني يرتفع إلى أعلى. ومن ثم كان الغرض منها الإشارة إلى رفعة مقام من يلبسها.

وإذا نظرنا إلى المسيح، أدركنا شيئاً من الرفعة التي نلناها على أساس كفارته الثمينة، إذ أصبحنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (أفسس5: 30) كما أصبحنا أبناء الله وأولاده (1يوحنا 3: 1) الأمر الذي يقودنا للخضوع التام له في كل أمر من الأمور (أفسس5: 24)، وفي هذا الخضوع يتجلى الجمال والمجد اللذان يريد الله أن يراهما فينا.

وإذا نظرنا بصفة عامة إلى هذه الملابس، نرى ما يأتي:

1- أنها لم تكن مزدانة بأي نوع من أنواع الزينة، كما أنه لم يكن بها شيء من الذهب أو الألوان الزاهية (كما كانت الحال مع ملابس هرون[1]) بل كانت بسيطة كل البساطة. ومع ذلك كانت تدعى "ملابس المجد والبهاء"، الأمر الذي يدل على أن جمال المؤمنين الحقيقيين هو في نقاوة حياتهم وتواضعهم وإنكارهم لذواتهم، وخضوعهم التام لله كما ذكرنا.

2- أنها كانت تغطي الجسد من هامة الرأس (حيث القلنسوة) إلى أسفل القدمين (حيث أطراف السروال)، الأمر الذي يدل على أن الله في نعمته قد دبر كل ما هو لازم لإخفاء كل عيب يمكن أن يكون فينا، والإتيان بنا إليه في المسيح نتمتع بخلاص الله بحالة لا نحتاج معها إلى القيام بأي عمل من جانبنا لكي نتمتع بخلاص الله (أفسس2: 9).

3- أنه لم يكن لأبناء هرون أن يلبسوا هذه الملابس إلا بعد الاغتسال، الأمر الذي يدل على أنه لا سبيل للتبرر أمام الله والوجود في حضرته إلا بعد نزع الخطية والاكتساء ببر المسيح، وذلك بالإيمان القلبي به- هذا مع العلم بأن ملابس بني هرون العادية، مثل ملابس بني إسرائيل، كان في طرفها شريط اسمانجوني (أي سماوي اللون)، إشارة إلى أن سلوك المؤمنين الحقيقيين في العالم، يجب أن يكون مطبوعاً بالطابع السماوي.

مما تقدم يتضح لنا أن المؤمنين الحقيقيين، بوصفهم كهنة لله في العهد الجديد، ليسوا في حاجة إلى نوع خاص من الثياب حتى يكونوا أهلاً للاقتراب من الله، أو القيام بخدمته إذ أن الثياب التي يريد الله أن يرتدوها كل حين هي ثياب روحية محض. فقد قال لهم أن يلبسوا أسلحة النور

(رومية13: 12) لكي يقدروا أن يثبتوا ضد مكايد إبليس (أفسس6: 11). وأن يلبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين، أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة... وعلى جميع هذه أن يلبسوا المحبة التي هي رباط الكمال (كولوسي 3: 12- 14). وبالإجمال أن يلبسوا الرب يسوع المسيح، وألا يصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (رومية 13: 14)- والمراد بلبس المسيح هنا، إظهاره في حياتنا العملية، بعد أن لبسناه شرعاً أمام الله على أساس الإيمان الحقيقي به (غلاطية 3: 27). ولكي نظهره في حياتنا العملية، يجب أن نعطيه أولاً السيادة على أفكارنا وعواطفنا الباطنية...

هذا وقد أدرك داود النبي قديماً قيمة الملابس الكهنوتية المعنوية، فقال لله "كهنتك يلبسون البر" (مزمور 132: 9). لكن مهما كان المعنى الذي قصده داود من "البر" هنا، فإنه لا يقاس على الإطلاق بجانب البر الذي يرتديه المؤمنون الحقيقيون كهنة العهد الجديد، لأنه ليس براً لإتيانهم، بل بر الله عليهم. فمكتوب "وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون (أحكام) الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء: بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رومية3: 21و 22)... وكل من اختبر هذا البر يعتز به كل الاعتزاز، فقد قال بولس الرسول "بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية. لكي أربح المسيح وأوجد فيه. وليس لي بري الذي من (أعمال) الناموس، بل الذي بإيمان المسيح. البر الذي من الله بالإيمان" (فيلبي 3: 8و 9). ولذلك فالمؤمنون الحقيقيون، كهنة العهد الجديد، يحظون بالقبول أمام الله، بدرجة لم يكن يحلم بها حتى هرون، وهو في ملابسه الكهنوتية الزاهية الغالية.

14- مما تجدر الإشارة إليه أن هرون وحده كان يلبس الملابس الفاخرة، لأنه كان يمثل الشعب أمام الله في كمال نعمته، أما أبناؤه فلم يكن لواحد منهم هذا المقام. وهكذا الحال من جهة المؤمنين الحقيقيين، فإنه وإن كان يصلي بعضهم لأجل البعض الآخر، لكن ليس هناك من هو كفء بينهم لأن ينوب عن غيره أو يمثله أمام الله، لأن من يقف هذا الموقف يجب أن يكون بلا خطية، والحال أنهم جميعاً خطاة، إن لم يكن بأفعالهم، فبأفكارهم وأقوالهم. ومن ثم فإن الذي يمثلهم أمام الله هو المسيح الذي لم يكن هرون إلا رمزاً ضئيلاً له.

الباب الثالث: الأطعمة الكهنوتية في العهد القديم، ومدلولها في العهد الجديد

الذبائح، ومدلولها في العهد الجديد

(أولاً) ذبيحة السلامة[1]:

بالرجوع إلى (لاويين 3: 1- 16، 7: 28- 36، 10: 14) يتضح لنا ما يأتي:

1- أن هذه الذبيحة ليست رمزاً إلى المسيح، بوصفه الذي صنع لنا الصلح والسلام بدم صليبه مع الله، وإن كان هذا حقاً لا شك فيه، بل هي رمز إليه كمن على أساس كفارته جعل للمؤمنين الحقيقيين شركة مع الله ومع بعضهم بعضاً، الأمر الذي يدعوهم إلى تقديم الشكر إليه، لأن الوحي يطلق على الذبيحة المذكورة اسم "ذبيحة شكر السلامة". ولذلك كان الله يتقبل على مذبحه شحمها وكليتيها وزيادة الكبد منها. وكان هرون وبنوه وبناته يأخذون صدرها وكان الكاهن الذي يعملها يأخذ ساقها. وباقي الذبيحة كان يأكله هو والذين معه. وهكذا كان جميع أفراد البيت الكهنوتي يشتركون فيها.

2- إن حرق بعض أجزاء الذبيحة المذكورة على مذبح الله، واشتراك الكهنة ومقدم الذبيحة في الأكل من البعض الآخر، رمز إلى الشركة الروحية الثمينة التي بها نتمتع نحن المؤمنين في العهد الجديد مع الله ومع بعضنا البعض. وقد أشار الرسول إلى هذه الشركة فقال عن المسيح "الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً" (1يوحنا 1: 3- 4) لأننا جميعاً (مع الرسل والأنبياء) لنا إيمان متساو (2بطرس1: 1) وخلاص مشترك (يهوذا:3)، وتبعاً لذلك لنا في المسيح نصيب مشترك وفرح مشترك- وطبعاً كما أننا نسر بالشركة مع الرب، فهو أيضاً يسر بالشركة معنا. وقد أشار المسيح إلى هذه الحقيقة، فأعلن لنا أنه لا يشرب من نتاج الكرمة (أو بالحري لا يتمتع بالأفراح السماوية) إلى ذلك اليوم، حينما يشربه معنا جديداً في ملكوت الآب (متى26: 29).

3- إن الأكل من ساق الذبيحة رمز إلى التمتع بقوة كفاية كفارة المسيح. والأكل من صدرها رمز إلى التمتع بالعواطف الكريمة التي قادت المسيح إلى تقديم نفسه كفارة. والإناث في بيت هرون اللاتي كن يشتركن في الأكل، رمز إلى المؤمنين الضعفاء، لأن هؤلاء مهما كان أمرهم، يجب أن يتغذوا بمحبة المسيح وقوته. فمحبته تشبع قلوبهم وتريح ضمائرهم وترفع من نفسياتهم. وقوته تمنحهم اليقين بإمكانية الغلبة على جميع الأهواء والشهوات، كما تمنحهم اليقين بأنه لا يستطيع أحد أن يخطفهم من يد المسيح (يوحنا 10: 28).

4- وعدم إبقاء شيء من هذه الذبيحة إلى اليوم الثالث، لئلا تصبح أمام الله مرفوضة ونجسة، رمز إلى أن الشكر لله يجب أن يكون مقترناً بالتأثر القلبي الكافي بكفارة المسيح. فإذا انعدم هذا التأثر أو قل، رفض الله الشكر بل واعتبره نجاسة أيضاً، وبذلك يحرم صاحبه من البركة، ويكون موقفه موقف من رفع لله بخوراً بواسطة نار غريبة عن نار المذبح (لاويين 10: 1).

(ثانياً) ذبيحة الملء:

بالرجوع إلى (خروج 29: 1- 37، لاويين 8: 1- 36)، يتضح لنا ما يأتي:

1- أن بني هرون مع أبيهم وموسى النبي كانوا (بوصفهم عائلة الله المكونة من الآباء والأحداث والأولاد) يأكلون ما تبقى من ذبيحة الملء التي سبق أن وضعوا أيديهم عليها، ومن فطيرها الذي سبق أن ملأوا أيديهم منه عند تقديسهم، وذلك عند باب خيمة الاجتماع. كما كان عليهم أن يظلوا هناك مدة سبعة أيام كاملة، لئلا يقع عليهم قضاء الموت- وكان ذلك رمزاً إلى أن المؤمنين الحقيقيين الذين تمتعوا بالقبول الأبدي أمام الله في المسيح، يجب أن يتغذوا به (يوحنا 6: 35- 58) في الأقداس السماوية. وأن ملء أيديهم منه أو بالحري ملء قلوبهم منه، هو السبيل الوحيد لوجودهم في حالة القداسة العملية التي تجعلهم قريبين منه، ومهيئين للقيام بخدماتهم الكهنوتية لله. كما يجب أن يظلوا في هذه الأقداس بقلوبهم كل حين لأن العدد " 7" رمز إلى الكمال. أما إذا اتجه قلب واحد منهم إلى العالم، تعطلت شركته مع الله وحرم من التمتع ببركاته، الأمر الذي كان يرمز إليه قديماً بموت الكهنة، إذا تركوا باب خيمة الاجتماع قبل مرور السبعة أيام اللازمة لتقديسهم.

2- ومما تجدر الإشارة إليه أن الله في نعمته الغنية يدعونا للإقامة في حضرته طوال أيام حياتنا، لكي نفرح معه بابنه ونشاركه في عواطفه السامية من نحوه. حقاً إننا لا نستطيع التمتع بهذا الامتياز من تلقاء أنفسنا، لكن عندما نغض النظر عن أهواء العالم، ونسلم قلوبنا للروح القدس الساكن فينا تسليماً كاملاً، يستطيع أن يهيئنا للتمتع بالامتياز المذكور على أكمل وجه. أما إذا انشغلنا بالأمور العالمية. فإننا مهما سمعنا عن المسيح أو فكرنا فيه، لا يمكن للأسف أن نفيد منه، أو نجد بهجة في الشخوص إليه!!.

3- وحرق ما يتبقى من الذبيحة المذكورة في اليوم التالي، إشارة إلى أن تغذي المؤمنين الحقيقيين بالمسيح ينبغي ألا ينفصل عن التأثر الكافي بذبيحته، لأن هذا التأثر هو الأساس الوحيد لإمكانية التغذي بالمسيح. وإشارة أيضاً إلى أن هذه التغذية يجب أن تكون بأشواق حارة خالصة، وإلا فإننا لا نفيد منه كما ذكرنا.

(ثالثاً) ذبيحة الإثم[2]، وذبيحة الخطية[3]التي لم يدخل بدمها إلى قدس الأقداس:

بالرجوع إلى (لاويين4، 5، 6) يتضح لنا ما يأتي:

1- إن تسجيل الوحي عن هاتين الذبيحتين أنهما قدس أقداس (لاويين10: 27)، يدل على أنهما من أخص الأمور المتعلقة بالله. وهذا ما يدعونا للنظر إلى الخطية في نور قداسته، لنرى شناعتها وكراهيته الشديدة لها. والذبيحة الأولى رمز إلى المسيح بوصفه الذي حمل قصاص آثامنا الفعلية. والثانية رمز إليه بوصفه الذي حمل شر طبيعتنا الفاسدة الداخلية التي ورثناها من آدم.

والأكل من هاتين الذبيحتين فيه معنى من معاني التكفير لأنه يدل على اشتراك الكاهن إلى حد ما في تحمل مسؤولية خطأ الذين قدموها. فقد قال موسى لابني هرون "ما لكما لم تأكلا ذبيحة الخطية في المكان المقدس، لأنها قدس أقداس. وقد أعطاكما الرب إياها لتحملا إثم الجماعة تكفيراً عنها أمام الرب" (لاويين 10: 17). نعم ليس هناك من يستطيع الاشتراك مع مخلصنا الكريم في حمل دينونة خطايا الآخرين. لكن المسيح لم يحمل دينونتها فحسب، بل شعر أيضاً بشناعتها. وفي هذا الشعور يمكن أن نشترك نحن معه ككهنة مقدسين لله، يكرهون الخطية كما يكرهها،

ونتألم كثيراً لارتكاب الناس لها، لأنها تعد على حقوقه وإساءة إلى شخصه.

2- والأكل من هاتين الذبيحتين في دار خيمة الاجتماع، إشارة إلى أن مهمة الاشتراك في الشعور بشناعة خطايا العاثرين، لا يمكن القيام بها إلا في حالة الاتصال القلبي بالله. وقصر الأكل منهما على الذكور إشارة إلى أن الأقوياء من المؤمنين الحقيقيين (أو بالحري الأتقياء جداً منهم) هم وحدهم الذين يستطيعون القيام بهذه المهمة [4]. فعوضاً عن أن ينتهروا العاثرين من إخوتهم أو يبتعدوا عنهم أو يسرعوا إلى عزلهم، يبكون في حضرة الله بسبب خطاياهم كأنهم هم الذين عملوها. ويتضرعون إليه أن ينتشل هؤلاء العاثرين من سقطتهم حتى يستطيعوا العودة إلى الشركة معه.

وإذا رجعنا إلى العهد القديم نرى أيضاً أشخاصاً أتقياء أدركوا المعنى الروحي للأكل من ذبيحة الخطية الذي ذكرناه ومارسوه أيضاً على أكمل وجه، نذكر منهم عزرا (9: 5- 15) ونحميا (9: 32- 38) ودانيال (9: 4- 19).

ولذلك يقول الرسول للمؤمنين "فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نرضى أنفسنا" (رومية 15: 1). ويقول لهم أيضاً "احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمموا ناموس المسيح [5]" (غلاطية 6: 2). وأيضاً "اسندوا الضعفاء" (1تسالونيكي 5: 14). وقد ضرب بولس الرسول المثل الأعلى في التأثر بضعفات المؤمنين فقال: "من يضعف وأنا لا أضعف [6]، من يعثر وأنا لا التهب!!" (2كورنثوس 11: 29). فضلاً عن ذلك قد بلغت محبته للناس وعطفه عليهم درجة تمنى معها لو كان من الممكن أن يكون هو محروماً من المسيح، لكي يتمتعوا هم بخلاصه الثمين (رومية 9: 3) مقتدياً في ذلك إلى حد ما بالمسيح نفسه، الذي حمل في جسده خطايانا حاسباً إياها خطاياه، وقابلاً في نفسه على الصليب قصاصها الجهنمي نيابة عنا.

والحق إن تحمل بعض المؤمنين خطايا الآخرين، هو أسمى الخدمات الكهنوتية وأرفعها، إذ فيه تختفي الذات منهم، ولا يكون أمامهم سوى مجد الله وخير البشر- فضلاً عن ذلك، فإن هذا العمل يزيد الحساسية الروحية فيهم، فينظرون إلى الخطية بنظرة الله إليها، ومن ثم يبغضونها

بكل قلوبهم ويجتهدون أن يعيشوا مع الله في كل حين، حياة القداسة التي يرتضيها.

3- وعدم إبقاء شيء من هاتين الذبيحتين إلى الصباح (وليس إلى اليوم الثاني أو الثالث، كما كانت الحال مع بعض الذبائح الأخرى) إشارة إلى أن خدمة تحمل خطايا الآخرين هي أدق الخدمات الكهنوتية، إذ تتطلب من القائم بها أن يكون متأثراً كل التأثر بمحبة المسيح الغنية التي جعلته مع عظمته التي لا حد لها، يحمل في نفسه على الصليب خطايانا بأسرها، بكل ما فيها من نجاسة لا تطاق وما تستحقه من قصاص لا يحد.

15- كلمة "السلامة" هذه، ترد في الأصل العبري في صيغة الجمع، ومن ثم يراد بها السلام من كل ناحية من النواحي.
16- ذبيحة الإثم كانت خاصة بالخطية من حيث ظهورها في الخارج. وكان ينظر إلى الذنب فيها باعتباره تعدياً على شريعة الله، كما في حالات التقصير في أداء العشور، والاستيلاء على مال الآخرين. ولذلك كانت هذه الذبيحة مقترنة بالتعويض المناسب، الأمر الذي يشير إلى أن المخطئ يجب ألا يسعى للحصول على الصفح فقط، بل ويجب أيضاً أن يرد الحقوق إلى أصحابها، وذلك لكي يتعلم التدقيق في سلوكه.
17- ذبيحة الخطية كانت خاصة بالخطية ليس من حيث فعلها الخارجي فحسب، بل وأيضاً من حيث كونها فساداً في الطبيعة البشرية لا يصلح بحال. ومن ثم لم يكن ينظر فيها إلى الخطية باعتبارها تعدياً فقط (كما هي الحال مع ذبيحة الإثم)، بل وأيضاً كنجاسة ضد طبيعة الله القدوس. ولذلك فإنه إذا كان يدخل بدم هذه الذبيحة إلى قدس الأقداس، كانت تحرق بأكملها خارج المحلة، وليس على المذبح كما كانت الحال مع ذبيحة الإثم.
18- أما إذا كانت هناك خطية على ضمير واحد من هؤلاء الأقوياء، فإنه لا يستطيع طبعاً أن يحمل على نفسه خطية غيره. وقد عرف هذه الحقيقة هرون وابناه العازار وإيثامار من قبل فإنهما بعد ما قدما لله ذبيحة خطيتهما، لم يستطيعا الأكل من ذبيحة الخطية التي قدماها له من قبل (لاويين 10: 16- 20).
19- ناموس المسيح هو المحبة لكل الناس.
20-أي أن الرسول كان يحس بالهزال والضعف الجسدي، إذا رأى أحد المؤمنين قد سقط في خطية ما.

الفطير والخبز، ومدلول كل منهما

في العهد الجديد

أولاً- فطير ذبيحة الملء:

من (لاويين8: 1، 26) يتضح لنا ما يأتي:

إن الفطير، كما ذكرنا فيما سلف، رمز إلى كمال المسيح وتنزهه عن الخطأ، ولذلك فتناول هرون وبنيه منه في خيمة الاجتماع، رمز إلى أن المؤمنين الحقيقيين يجب أن ينفصلوا عن العالم ويدخلوا بقلوبهم إلى أقداس الله، حتى يستطيعوا التمتع بما في المسيح من كمال- هذا الكمال الزاخر الذي يفوق كل كمال في الوجود. فقد قال الوحي عن المسيح إنه (حتى من الناحية الناسوتية) أبرع جمالاً من بني البشر، وإن النعمة انسكبت على شفتيه (مزمور 35: 2). وإن حلقه حلاوة وكله مشتهيات (نشيد5: 16). وإنه فتى الله الذي وقع عليه اختياره، وحبيبه الذي سرت به نفسه (متى12: 18)، لأنه كان يعمل في كل حين ما يرضيه (يوحنا 8: 29)، إذ كان قدوساً بلا شر أو دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات (عبرانيين7: 26).

ثانياً- خبز الوجوه:

من (لاويين24: 5- 9) يتضح لنا ما يأتي:

1- إن هذا الخبز كان يتكون من 12 رغيفاً. وكانت هذه الأرغفة توضع على مائدة الرب[1] في القدس. ونظراً لأنه كان يصنع من الدقيق النقي، ولم يدخل في صناعته خمير، لذلك فهو يرمز إلى ناسوت المسيح الخالي من كل عيب. والعدد (12) رمز إلى كفاية المسيح لشبع شعبه، الذي كان يتكون في العهد القديم من 12 سبطاً.

واجتياز الدقيق في النار ليصير خبزاً، رمز إلى الآلام التي كان المسيح يشعر بها أثناء سيره في العالم الشرير، بسبب كماله له المجد. واللبان النقي رمز إلى حياة المسيح العطرة التي بعثت بالسرور إلى قلب الله، وتبعث بالسرور إلى قلوبنا نحن أيضاً.

2- وكان هذا الخبز يدعى "خبز الوجوه" أو "خبز الحضرة"، لأنه كان يظل أمام الله أو أمام وجهه (إن جاز هذا التعبير) مدة سبعة أيام- وهو من هذه الناحية رمز إلى المسيح الذي هو خبز الله (يوحنا 6: 36)

أو بالحري موضوع سروره، لأن عدد (7) هو عدد الكمال. وبعد رفع الخبز المذكور، كان الكهنة يأكلونه في مكان مقدس، إشارة إلى أن للمؤمنين الحقيقيين شركة مع الآب في التمتع بابنه، لكنهم لا يستطيعون التمتع به إلا إذا كانوا في حالة القداسة العملية داخل الأقداس.

3- ووضع خبز جديد كل أسبوع، رمز إلى أن المسيح بوصفه الخبز الحي، هو دائماً جديد وشهي أمام الله وأمام المؤمنين الحقيقيين أيضاً. فمهما تغذوا منه لا يشعرون بأي ملل، إذ يجدون في كل مرة يتغذون منه شبعاً لنفوسهم وبهجة لها- أما إذا كف واحد منهم عن التغذي بالمسيح يوماً اعتماداً على البركات التي نالها منه في الماضي، تضعف حياته وتذبل نضارته. ولذلك كما نغذي أجسادنا كل يوم أكثر من مرة لكي تقوى على القيام بأعمالها، هكذا يجب أن نغذي قلوبنا بالمسيح باستمرار حتى نسير من قوة إلى قوة.

ثالثاً- قربان التقدمة:

بالرجوع إلى (لاويين 2: 1- 6، 6: 14- 18، 7: 9) يتضح لنا أن هذا القربان ثلاثة أنواع. وفيما يلي هذه الأنواع وما تدل عليه من معان:

1- تقدمة الدقيق مع زيتها ولبانها:

(أ)-إن الدقيق لعدم وجود أية خشونة فيه، هو رمز إلى حياة المسيح الكاملة في كل دقائقها. والزيت رمز إلى الروح القدس الذي كان المسيح ممتلئاً به. واللبان رمز إلى حياة المسيح العطرة. فكل خطوة من خطواته، وكل كلمة من كلماته، كانت تبعث السرور إلى قلب الله. كما أن صفاته له المجد (مثل العدالة والرحمة، والكرم والحرص، والعظمة والتواضع و... و...) على الرغم مما فيها من تباين في نظرنا، كانت متوافقة كل التوافق في شخصه المبارك. فبينما أعلن القضاء على رجال الدين المرائين، أظهر العطف على الخطاة المساكين (متى 15: 6، يوحنا 8: 7) وبينما أظهر الكرم في إشباع الآلاف من الناس، أظهر الحرص على جمع الكسر المتبقية منهم (يوحنا 6: 11و 12). وبينما أظهر التواضع كإنسان أمام الله، أظهر جلاله أمام الأعداء (متى 26: 39، يوحنا 18: 6) وهلم جرا.

(ب)-وإبقاء شيء من الدقيق والزيت واللبان على المذبح ليكون وقود رائحة سرور للرب، رمز إلى أن حياة المسيح الكاملة لا تنفصل عن موته الذي يشار إليه بالمذبح والوقود، لأن موته هو الذي أعلن كماله الذاتي وطاعته المطلقة لله. وطبعاً لا يراد بموت المسيح هنا، موته الكفاري تحت دينونة العدالة الإلهية نيابة عنا، بل موته كشهيد بيد البشر الأثمة بسبب كماله الذي كان يوبخهم ويؤرقهم. لأن موته هذا هو الذي كان يرمز إليه باجتياز الدقيق والفطير في النار، أما موته الكفاري هو الذي كان يرمز إليه بسفك دم الذبائح واجتيازها في هذه النار، إذ أن المغفرة مؤسسة أولاً وأخيراً على سفك الدم (عبرانيين9: 22).

(ج)-والطرق الثلاث التي كانت تخبز بها تقدمة الدقيق، تصور لنا التجارب والآلام المتعددة التي أحس المسيح بها في حياته وفي موته الاستشهادي. فقد كان له المجد يتألم لشرور الناس وآثامهم، والقصاص الذي كان عتيداً أن يصيبهم بسبب رفضهم إياه (لوقا 19: 41). كما كان يتألم لقلة إيمان تلاميذه وعدم فهمهم لتعليمه، وعدم استطاعتهم السهر معه (متى26: 40) وأيضاً لأجل آلام المرضى وبكاء الباكين (يوحنا 11: 35)، ولأجل اضطهاد البشر له على الرغم من إحساناته المتعددة التي كان يسديها لهم- أما الآلام التي تحملها على الصليب عوضاً عنا إيفاء لمطالب العدل الإلهي من جهة خطايانا (1بطرس 3: 18)، فلم تكن آلام الاستشهاد بل آلام الكفارة كما ذكرنا[2].

2- الأقراص:

وكانت نوعين. الأول فطير ملتوت بزيت، والثاني رقاق مدهون بزيت. وقد مر بنا ما يرمز إليه هذان النوعان من الفطير. ولذلك نكتفي بالقول:

(أ)-إن تقديم هذه الأقراص في خيمة الاجتماع إشارة إلى أن المسيح هو طعام الله، وإلى أننا إذا أردنا التغذي به، يجب أن ندخل بقلوبنا إلى حضرته تعالى. وقيام الكهنة بعمل هذه الأقراص في بيوتهم والإتيان بها بعد ذلك إلى خيمة الاجتماع، رمز إلى أنه لم تكن لنا علاقة مع المسيح في مخادعنا وحياتنا السرية، لا تكون لنا معه علاقة حقيقية عند اجتماعنا مع إخوتنا باسمه، لتقديم العبادة له.

(ب)-إن الأقراص المذكورة كان يشترط فيها أن تكون خالية من الخمير، ومن العسل، وأن يكون فيها ملح. وفيما يلي المعاني الروحية لهذه الشروط:

-الخمير ليس رمزاً إلى الشر فقط، بل ورمزاً أيضاً إلى الرياء والانتفاخ أو بالحري الكبرياء. ومن ثم فخلو هذه الأقراص من الخمير، إشارة إلى حياة الطهارة والإخلاص والتواضع التي عاشها المسيح، الأمر الذي جعلها بأسرها رائحة سرور للرب.

وبوصفنا كهنة لله، يجب أن نتصف أيضاً بهذه السجايا لاسيما عند قيامنا بخدمة الله وعبادته. كما يجب ألا نظهر بحالة أسمى من حالتنا الحقيقية- وموت ابني عالى الكاهن تحت قضاء الله، بسبب ما كانا يرتكبانه من شرور (1صموئيل4: 17)، وموت حنانيا وسفيره بسبب ما بدا منهما من كذب ورياء (أعمال 5: 1- 10)، أكبر إنذار لنا من هذه الناحية.

-أما خلو الأقراص المذكورة من العسل، فإشارة إلى أن حياة المسيح كانت خالية من كل زخرف يسر الطبيعة البشرية العتيقة لدى الناس. فهو له المجد مع محبته لهم وعطفه عليهم، لم يسع لاجتذابهم إليه بالكلام المعسول أو الآمال الجذابة والوعود الخلابة [3]. فضلاً عن ذلك كان في ذاته لا يميل إلى إطراء الناس له بأي حال من الأحوال (يوحنا 3: 1- 3، متى19: 17)

وبوصفنا كهنة لله نقتدي بالمسيح في كل تصرفاته يجب:

(أ)-أن نسلك حسب الحق دون أن نخشى لومة لائم (ثانياً) ألا نحابي أعز الناس لدينا إذا وقعوا في خطأ ما، بل أن نواجههم بقضاء الله العادل عليهم. وغيرة بني لاوي على مجد الرب وقتلهم لأصدقائهم وأقربائهم الذين عبدوا العجل الذهبي، خير مثال لنا في ذلك (خروج 32: 27). وقد أشار موسى إلى هذه البطولة فقال لله عن لاوي "الذي قال عن أبيه وأمه لم أرهما، وبإخوته لم يعترف، وأولاده لم يعرف. بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك" (تثنية33: 9).

(ب)-ألا يكون الغرض من استعمال الآلات الموسيقية أحياناً عند الترنيم، بعث السرور إلى السامعين، بل مجرد ضبط النغمات الخاصة به. وذلك حتى لا تنصرف الأذهان عن معانيها والتأثر القلبي بها، إذ أن الله لا

يريد الأصوات الرخيمة بل القلوب المقدسة والمتعبدة له، ولذلك قال المسيح له المجد إن الساجدين الحقيقيين هم الذين يسجدون للآب بالروح والحق (يوحنا4: 23).

(ج)-ألا نلجأ في الوعظ والتعليم إلى المحسنات اللفظية أو القصص الفكاهية التي تسر الطبيعة العتيقة في البشر، دون أن تهذب نفوسهم أو تبنيها. فشروط الخدمة المرضية عند الله، هي أن يكون القائم بها حاصلاً عليها منه، وقائماً بها في حضرته وموجوداً عند أدائها في المسيح (2كورنثوس2: 17)، وذلك بكل تقوى ووقار.

ومن الجهة الأخرى، كان من الواجب ألا تخلو التقدمة من ملح العهد الإلهي. لأنه هو الذي يحفظها من الفساد. وكان ذلك إشارة إلى أن حياة ربنا يسوع المسيح، كانت كلها قداسة وأمانة وغيرة على مجد الله- وبوصفنا كهنة لله نقتدي بالمسيح في كل تصرفاتنا، يجب أن نطبق كلمة الله على حياتنا بكل دقة، حتى إذا تعرضنا في هذا السبيل إلى أكبر التضحيات ومن أمثلة استعمال الملح في عبادتنا وخدمتنا، أننا إذا طلبنا من الرب أن يستلم حياتنا، يجب أن تكون لنا النية الصادقة في تسليمها إليه، دون أي تحفظ من جانبنا. وإذا تحدثنا عن قداسة المسيح، يجب أن يقترن هذا الحديث بالعزم الصادق فينا على الإقتداء بشخصه المبارك، بقوة الروح القدس الساكن فينا. وإذا حرضنا إخوتنا المؤمنين على أن يصلوا في كل حين، يجب أن نكون نحن أولاً رجال صلاة، وبالاختصار يجب أن نتجنب كلام السفاهة والهزل، وأن تكون كل تسلياتنا في الروح. وإلا كانت عبادتنا وخدمتنا مكرهة أمام الرب- هذا وبالرجوع إلى العهد الجديد، نرى الملح بالمعنى الروحي يجب أن تكون له مكانة خاصة في حياتنا، فقد قال المسيح لنا "ليكن لكم في أنفسكم ملح، وسالموا بعضكم بعضاً" (مرقس 9: 50). وقال الرسول "ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح، لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد" (كولوسي4: 6).

3- الفريك:

وكان يوضع عليه زيت ولبان: وحبة الفريك، من حيث كونها لا تزال حبة خضراء، هي رمز إلى المسيح الذي قطع من أرض الأحياء، وهو بعد في دور الشباب. ومن حيث كونها حبة كاملة النمو هي رمز أيضاً إليه من جهة كماله في الإدراك والتصرف، على الرغم من أنه كان لا يزال في دور الشباب، فإن خدمته التي لم تزد عن ثلاث سنوات ونصف،

تركت أبلغ الأثر في العالم أجمع. ومن حيث كون حبة الفريك باكورة القمح، هي رمز إلى المسيح من جهة كونه بكراً بين إخوة كثيرين (رومية 8: 29)، وبكراً أيضاً للراقدين الذين سيقومون من الأموات بالهيئة التي قام بها له المجد (1كورنثوس 15: 20). ومن حيث كون الفريك مشوياً، هو رمز إلى المسيح من جهة تألمه لألام قديسيه المضطهدين في العالم على الرغم من أنه يوجد الآن في مجده الأسنى (أعمال9: 4). أما الزيت فهو رمز إلى الروح القدس الذي كان المسيح مولوداً وممسوحاً به، واللبان رمز إلى حياته العطرة التي بعثت السرور إلى قلب الله، وتبعث السرور أيضاً إلى قلوب قديسيه في كل عصر من العصور، كما ذكرنا فيما سلف.

رابعاً-رغيفا الباكورة أو الترديد:

بالرجوع إلى (لاويين23: 15- 20) يتضح لنا ما يأتي:

1- كانت هذه التقدمة تعمل في عيد الحصاد أو يوم الخمسين، لأن هذا العيد كان يقع بعد خمسين يوماً من عيد الباكورة. وإذا رجعنا إلى العهد الجديد، نرى أن المسيح قام من بين الأموات باكورة للراقدين في عيد الباكورة. وأن الروح القدس حل على التلاميذ بعد خمسين يوماً من هذا العيد مكوناً كنيسة المسيح. التي تضم كل المؤمنين الحقيقيين من اليهود ومن الأمم الأخرى (أفسس 2: 14- 16)، وذلك كإخوة له (يوحنا20: 17)، بل وكأعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (أفسس 5: 4)، ومن ثم كان يرمز إليهم قديماً بالحصاد الذي يكون دائماً أبداً بعد الباكورة بخمسين يوماً، كما يكون دائماً أبداً من نوع الحبوب التي سبق زرعها.

ونظراً لأن الرغيفين المذكورين كانا بهما خمير، لذلك لم يكونا رمز إلى المسيح بل رمزاً إلى هؤلاء المؤمنين، لأنهم وإن كانوا بنعمة الله العاملة فيهم يترفعون عن الشر، غير أنهم ليسوا معصومين منه، إذ أنه يقبع في طبيعتهم العتيقة التي ورثوها، والتي ستظل فيهم حتى انطلاقهم إلى المجد. ومن ثم فإنه يوجد فيهم خمير على نحو ما- لكن هذا الخمير لا يظهر في الخارج طالما هم في حالة الانقياد بالروح القدس، وذلك كما لا يظهر فعل الخمير في الرغيفين اللذين نحن بصددهما، بسبب اجتيازهما في النار.

2- ولوجود الخمير (الذي هو رمز إلى الشر) في هذين الرغيفين، فإنهما وإن كانا يرددان أمام الله، غير أنهما لم يوقدا على مذبحه. وهنا نرى الفرق بين المسيح وبين المؤمنين الحقيقيين. فالمسيح كامل في كل شيء، أما هم فليسوا كذلك، طالما هم في العالم الحاضر. ولكن كما أن ذبيحة الخطية التي كانت تقدم مع الرغيفين هي التي جعلتهما مقبولين أمام الله، هكذا الحال من جهة هؤلاء المؤمنين، فإنهم مقبولون أمام الله بفضل كفارة المسيح.

3- واتخاذ الرغيفين المذكورين إشارة واضحة إلى أنه في المسيح لا يكون هناك فرق بين اليهود وبين الأمم الأخرى، بعد الإيمان بشخصه المبارك. فاليهودي الذي يؤمن بالمسيح إيماناً حقيقياً، ينسى أنه يهودي، والأممي الذي يؤمن بالمسيح بمثل هذا الإيمان، ينسى أنه أممي. لأن كنيسة الله تقضي على كل الفوارق البشرية، مثل اختلاف اللغات وتفاوت المراتب وتباين الأجناس. وتجعل من كل المؤمنين على الأرض وحدة مرتبطة بالله كل الارتباط، ومن ثم لا تكون قابلة للانقسام أو التجزئة على الإطلاق (أفسس2: 13و 14).

ولذلك قال الرسول الذي كان فيما سلف متعصباً لليهودية كل التعصب "..ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة. بربري سكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل وفي الكل" (كولوسي3: 11).

وأكل الرغيفين معاً بواسطة كهنة العهد القديم، إشارة إلى أن المؤمنين الحقيقيين بوصفهم كهنة الله في العهد القديم، ينظرون إلى جميع إخوتهم على اختلاف مستوياتهم وطوائفهم ودرجاتهم وأجناسهم، كوحدة لا تتجزأ في المسيح. ومن ثم يحبونهم من قلب طاهر بشدة، ويمجدون الله من أجل نعمته العاملة فيهم جميعاً. هذا وقد أعلن المسيح لبطرس الرسول من قبل وجوب عدم التفرقة بين شعب وآخر على الإطلاق. وذلك في رؤيا دعاه فيها للأكل من الحيوانات النجسة، التي كانت تعتبر لدى اليهود قديماً رمزاً إلى الأميين. ولما رفض، قال له: "ما طهره الله لا تدنسه أنت" (أعمال10: 15)

21- كانت هذه المائدة مصنوعة من خشب السنط ومغشاة بالذهب النقي. ومن ثم كانت رمزاً إلى المسيح في طبيعته الإنسانية والإلهية معاً. وكان للمائدة إكليل من ذهب حولها، رمزاً إلى المجد الإلهي الذي يحيط بشخصه

المبارك- والمائدة بوجه عام رمز إلى الشركة. ولذلك كان وجودها في القدس رمزاً إلى اشتراك المؤمنين الحقيقيين مع الله في التغذي الروحي بابن محبته.

22- لزيادة الإيضاح عن الفرق بين آلام الكفارة، اقرأ كتاب "قضية الغفران في المسيحية" للمؤلف.

23- فمن تعليمه له المجد: "ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك" (متى 7: 13). وإن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني (متى 7: 24). وإن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني (يعتمد على أمواله) إلى ملكوت السموات (متى19: 24).

شروط الاشتراك في الأطعمة الكهنوتية قديماً، ومدلولها في العهد الجديد

1- الطهارة:

كان الأكل من الأطعمة الكهنوتية مقصوراً على الكهنة الأطهار من الناحية الطقسية (عدد 18: 11)- وهذا إشارة واضحة إلى أن المؤمنين الحقيقيين لا يستطيعون التغذي بالمسيح والإفادة منه، إلا إذا كانوا أولاً أطهاراً في الباطن والظاهر، أما إذا كانت هناك خطية ولو صغيرة (كما يقال) على ضمير واحد منهم، فإنه لا يستطيع التغذي بالمسيح. ومن ثم يجب عليه في هذه الحالة أن يعترف بخطيته بانسحاق أمام الله، حتى ينال الغفران اللازم عنها (1يوحنا 1: 9)، وحينئذ يصبح مهيئاً للتغذي بالمسيح، كما كان يفعل من قبل.

لكن إذا كان رجل من أبناء هرون به عيب جسماني، فإنه وإن كان يمتنع عن رفع القرابين لله، غير أنه كان يأكل من الأطعمة المذكورة (لاويين21: 16- 22)- وهذا رمز إلى أن النقائص الطبيعية (مثل العلل الجسمية) التي توجد في بعض المؤمنين الحقيقيين، وإن كانت تحرمهم أحياناً من خدمة الله، لكن يجب عليهم أن يتغذوا بالمسيح لكي تتقوى حياتهم الروحية ويستطيعوا السير في سبيله بلا عثرة.

2- التغذي مع الآخرين:

لم يكن لواحد من الكهنة أن يتغذى بمفرده بذبيحة ما، بل كان يتغذى بها بالارتباط مع باقي عائلته- وهذا رمز إلى أن تمتع المؤمنين

الحقيقيين بالمسيح يكون كاملاً ومبهجاً لنفوسهم، عندما يلتفون معاً حول شخصه الكريم. فقد قال له المجد "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متى 18: 20)، ورمز أيضاً إلى أحد الشروط الهامة في الاشتراك في العشاء التذكاري، المعروف بالعشاء الرباني. فقد قال الرسول إن من الواجب عند الاشتراك في هذا العشاء، أن ينتظر المؤمنون بعضهم بعضاً (1كورنثوس 11: 33).

3- الوجود في حضرة الرب:

كان كهنة بني إسرائيل يتغذون بالذبائح في دار خيمة الاجتماع وكان هذا رمزاً إلى أنه ليس هناك مجال للتغذي بالمسيح، إلا إذا كانت قلوبنا في حضرته، وفي الحالة الشركة معه. وكما كان الكهنة يتغذون بالذبائح في خيمة الاجتماع، لكي تكون لهم القدرة على القيام بخدمة الله بين الشعب خارجها، هكذا الحال معنا نحن المؤمنين. فإننا عندما نتغذى بالمسيح بالإيمان داخل الأقداس السماوية، يمكننا أن نحيا برفقته في العالم وأن نقوم بخدمته فيه.

4- عدم الأكل من الدم أو الشحم:

فالأول كان يسفك أسفل المذبح، والثاني كان يوقد عليه (لاويين 17: 6)- وكان ذلك رمزاً إلى أن المؤمنين الحقيقيين لا يستطيعون، مهما كان سموهم الروحي، أن يحيطوا بقيمة دم المسيح الثمين، أو كماله الزاخر الذي ظهر في طاعته لله حتى الموت، موت الصليب. إذ أنه لا يستطيع تقييم هذا وذاك سوى الله. أما هم، فلا يستطيعون إزاءهما إلا أن يقفوا موقف المبهوتين المشدوهين، ثم موقف العابدين الساجدين.

حالات الحرمان من تناول الأطعمة الكهنوتية

ومدلولها في العهد الجديد

وإن كانت نعمة الله الغنية قد سمحت للكهنة جميعاً بالاشتراك في تناول الأطعمة الكهنوتية ما داموا أطهاراً من الناحية الطقسية، لكن لقداسته المطلقة لم يكن يسمح بالاشتراك في هذه الأطعمة للأشخاص الآتي ذكرهم:

1- الأبرص وذو السيل:

فقد كانا يحرمان من الأكل من هذه الأطعمة حتى يتطهروا (لاويين 22: 4)، لأن البرص والسيل رمزان إلى الخطية. الأول من حيث مظهرها الخارجي، والثاني من حيث منبعها الداخلي- وهكذا الحال من جهة المؤمنين في العهد الجديد، فإنه إذا أخطأ أحدهم في الظاهر أو الباطن، فإنه يعجز عن التغذي بالمسيح. ومن ثم يجب أن يضع نفسه أولاً تحت تأثير كلمة الله حتى يتطهر من خطيته، وحينئذ يصبح مهيئاً للتغذي بالمسيح والتمتع به.

2- الشخص الذي تقع عليه قذارة ما:

كان هذا الشخص يعتبر أمام الله. ومن ثم كان يحرم من الأكل من الأطعمة الكهنوتية، حتى يرحض جسده بماء، وتغرب الشمس على نجاسته (لاويين 22: 7)- وإذا تطلعنا إلى هذه الحقيقة في ضوء العهد الجديد. نرى أن مرافقة الأشرار، والاستماع إلى أقوالهم البذيئة، ورؤية الشر الصادر منهم- كل هذه تنجس المؤمن الحقيقي، وتحرمه من التغذي بالمسيح. ومن ثم عليه أن يعتزل مدة كافية ينقي فيها نفسه بكلمة الله التي كان يرمز إليها بالماء، حتى يتطهر ويتهيأ لهذا التغذي كما ذكرنا.

3- الأجنبي والأجير والنزيل:

لم يكن يسمح لهم بالأكل من الأطعمة الكهنوتية (لاويين 22: 10)- وكان هذا رمزاً إلى أن الذين يعيشون مع المؤمنين الحقيقيين، دون أن يكونوا هم أنفسهم مؤمنين حقيقيين مثلهم، لا يمكنهم التغذي بالمسيح. إذ أنه لا يستطيع التغذي به، إلا الأشخاص الذين اتصلوا به اتصالاً شخصياً حقيقياً.

4- ابنة الكاهن التي تتزوج من رجل أجنبي:

وهذه لم يكن يسمح لها بالأكل أيضاً من الأطعمة المذكورة (لاويين 22: 12)- وكان ذلك رمزاً إلى أن دخول المؤمنين الحقيقيين في علاقة مع غير المؤمنين يضعف حياتهم الروحية، ويسلبهم القدرة على التغذي بالمسيح. ومن ثم يجب أن ينفصلوا عنهم ويلتصقوا بالرب وحده، حتى يكونوا مهيئين للتغذي بشخصه.

أخيراً نقول (أولاً) لكي تكون لنا الشهية المتفتحة للتغذي بالمسيح، ينبغي أن نحفظ أنفسنا بعيدة عن الشر والأشرار. وأن نلازم

الأتقياء الذين يدعون الرب من قلب نقي (2تيموثاوس 2: 22)، حافظين نفوسنا تحت التأثر بكلمة الله الحية. وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن نلجأ إلى عرش النعمة ليس في الصباح والمساء فقط، بل وأيضاً في أوقات متفرقة من النهار والليل، مضحين بكل عمل يمكن التضحية به، حتى تشبع نفوسنا بالرب وتتشبع به.

(ثانياً) إن المؤمنين الحقيقيين وإن كان لهم امتياز التمتع بالحياة الأبدية، بناء على كفاية المسيح لأجلهم، غير أن هذا لا يقلل من ضرورة قيامهم بالتغذي بالمسيح باستمرار. وإلا فإنهم يحرمون أنفسهم من التمتع ببركات الله وخدمته في العالم الحاضر، بالحالة التي يريدها تعالى. وبالتالي يحرمون أنفسهم من المكافأة التي كان من الممكن أن يحصلوا عليها، بجانب الخلاص الأبدي في العالم الآتي، لو كانوا قد خدموا الرب وأكرموه في حياتهم كما يجب (1كورنثوس3: 12- 15).

الباب الرابع: الخدمات الكهنوتية الخاصة بالله في العهد القديم ومدلولها في العهد الجديد

الخدمات الكهنوتية الخاصة بالناس في العهد القديم ومدلولها في العهد الجديد

قبل التحدث عن هذه الخدمات، يجدر بنا الإشارة إلى أنه كان من الواجب على الكهنة، قبل القيام بها، لا أن يغتسلوا فقط كما ذكرنا، بل وأن يخلعوا أيضاً أحذيتهم. وكان هذا دليلاً على وجوب الوجود في حالة الاتضاع والوقار أمام الله. ولذلك قال تعالى لموسى قديماً عندما رآه يقترب إلى العليقة التي كان يخاطبه منها: "لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه، أرض مقدسة" (خروج3: 4- 5). كما قال ليشوع بعد ذلك عندما تراءى تعالى له: "اخلع نعلك من رجلك، لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس" (يشوع5: 15). وقد أشار سليمان الحكيم إلى هذه الحقيقة بحالة معنوية فقال: "احفظ قدمك حين تذهب إلى بيت الله، فالاستماع أقرب (إلى الله) من تقديم ذبيحة الجهال لأنهم لا يبالون بالشر. لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله، لأن الله في السموات وأنت على الأرض. فلذلك فلتكن كلماتك قليلة" (جامعة 5: 1- 2). وقال بولس الرسول بعده للمؤمنين: "لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع، ليكن عندنا شكر، به نخدم الله

خدمة مرضية بخشوع وتقوى. لأن إلهنا (في قداسته مثل) نار آكلة" (عبرانيين 12: 28- 29)، ولذلك يجب ألا نتسرع في الصلاة، بل أن نتريث ونتمهل حتى تصبح قلوبنا في حالة القداسة اللائقة به.

فالله وإن كان يحبنا أكثر من محبة الآباء بدرجة لا حد لها، وقد شق الحجاب الذي كان يفصل بيننا وبينه إلى الأبد على أساس كفاية كفارة المسيح، ويدعونا للدنو منه في كل حين لكي نتمتع بالشركة معه ما شاء لنا التمتع، ويضع أمامنا كل بركاته لكي نفيد منها إلى أقصى درجة ممكنة لدينا، لكن مع كل ذلك، له قدسيته التي تفوق كل قدسية في الوجود. ومن ثم قال النبي للعابدين "أعبدوا الرب بخوف" (مزمور2: 11)، كما قال لله "أسجد في هيكل قدسك بخوفك" (مزمور 5: 7). وقال بطرس الرسول بعده للمؤمنين "وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد، فسيروا زمان غربتكم بخوف". كما قال "خافوا الله [1]" (1بطرس1: 17، 2: 17).

24- إن المؤمنين الحقيقيين يخافون الله أي يهابونه. ولكنهم لا يخافون منه لأنه أبوهم. أما غير المؤمنين والمؤمنون بالاسم فهم وحدهم الذين يخافون من الله، لأنه لا رجاء لهم عنده.

الذبائح والقرابين، ومدلولها في العهد الجديد

أولاً-الذبائح والقرابين في العهد القديم، ومدلولها في العهد الجديد

كان كهنة اليهود يقدمون لله ذبائح المحرقة والسلامة والإثم والخطية وذبيحة الكفارة السنوية، مع القرابين اللازمة كما ذكرنا فيما سلف، واستيفاء للبحث نتحدث فيما يلي عن ذبيحتين لم تسبق الإشارة إليهما، وهما ذبيحتا المحرقة الصباحية والمسائية. فقد أمر الله الكهنة أن يقدموا خروفاً محرقة كل صباح وخروفاً محرقة كل مساء، مع دقيق ملتوت بالزيت وشيء من الخمر (خروج29: 38- 42) ولذلك كانت النار تتقد على المذبح من الصباح إلى المساء، لأن الكهنة كانوا يمدونها باستمرار بالوقود اللازم، وإزاء ذلك نقول:

1- إن ذبيحة المحرقة (كما ذكرنا في كتاب كهنوت المسيح) ترمز إلى المسيح بوصفه الذي أرضى الله ونفذ مشيئته إلى التمام. والغرض من حفظ نار المذبح مشتعلة نهاراً وليلاً، كان بقاء شعب بني إسرائيل في حالة

الأمان والاطمئنان طوال الليل والنهار، تحت حماية هذه الذبيحة. لأن رائحتها الطيبة كانت تتصاعد باستمرار إلى الله، جالبة إليهم رضاه. وكان ذلك رمزاً إلى أنه على أساس كمال ذبيحة المسيح نستطيع أن نعيش في سلام واطمئنان أمام الله، في كل وقت من الأوقات.

2- إن الدقيق الملتوت بالزيت يشير إلى حياة المسيح النقية المملوءة بالروح القدس، والخمر يشير إلى الفرح (مزمور 104: 15)، أو بالحري إلى سرور الله بالمحرقة المقدمة إليه. كما يشير إلى مشاركة شعبه له في هذا السرور، لأنه تعالى يريد أن يمتعنا بابنه كما يتمتع هو به، حتى تمتلئ قلوبنا نحن أيضاً بالفرح- وفرح الرب هو قوتنا (نحميا 8: 10).

3- وذبيحتا المحرقة الصباحية والمسائية كانت لهما ميزة لا تتوافر في غيرهما من الذبائح، إذ كانتا دليلاً على أن لله علاقة أيضاً مع الناس الذين لم يكن لهم امتياز الدخول إلى القدس أو إلى قدس الأقداس (خروج 29: 42- 43). ومن ثم كانتا رمزاً إلى المسيح من حيث كونه الطريق أمام كل الناس إلى الله. فقد قال له المجد عن نفسه "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا 14: 6).

مما تقدم يتضح لنا أن كل الذبائح والقرابين كانت رموزاً إلى المسيح من نواح متعددة. وبمجيء المسيح بطلت هذه الرموز، لأن كفارته وفت كل مطالب عدالة الله من جهة الخطية إلى الأبد، كما جعلت المؤمنين الحقيقيين على أساسها مقدسين أمام الله (عبرانيين 10: 10). ومن ثم لم تعد بعد حاجة إلى ذبيحة أو قربان للتكفير عن الخطية (عبرانيين 10: 18). ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن الذبائح التي يقدمها المؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، هي ذبائح روحية محض، كما يتضح مما يلي:

1- تقديم الجسد ذبيحة:

فقد قال الرسول لهؤلاء المؤمنين "فأطلب إليكم برأفة [1]الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية" (رومية 12: 1). وإزاء هذه الآية نقول:

(أ)-إن المراد بالجسد هنا، ليس الكيان المادي في الإنسان (كأن هذا يجب أن يعذب بأي شكل من الأشكال، كما يفعل بعض الناس)، بل

المراد به الإنسان بأكمله (أي بما يحويه من روح ونفس وجسد)- وذلك من باب إطلاق اسم الجزء على الكل.

(ب)-والمراد بتقديم الجسد "ذبيحة حية" أن يحسب المؤمنون أنفسهم أمواتاً عن الخطية، وفي الوقت نفسه أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (رومية6: 11)، لأن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات (غلاطية5: 24). ولذلك قال الرسول عن نفسه "مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ" (غلاطية2: 20).

(ج)-والمراد يكون هذه الذبيحة "مقدسة ومرضية، أن تكون حياة هؤلاء المؤمنين مخصصة بأسرها لله، وأن تكون أعمالهم وأقوالهم وأفكارهم لأجل مجده دون سواه.

هذه هي العبادة العقلية أو بالحري "الخدمة التي بحسب الفطنة[2]" التي يريدها الله- وهي عقلية لأن المؤمنين الحقيقيين يدركون حق الإدراك إن الله لا تهمه الذبائح الحيوانية بل تهمه الحياة النقية لكي يستخدمها في تنفيذ مشيئته. كما يدركون حق الإدراك أن الأعمال الصالحة، إذا لم تكن صادرة من نفوس مكرسة لله يكون بها الكثير من العيوب والنقائص.

2- فعل الخير وتوزيع المال والملابس على الفقراء:

فقد قال الرسول للمؤمنين "ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله" (عبرانيين 13: 16). وإزاء هذه الآية نقول:

(أ)-إن فعل الخير والتوزيع في نظر المؤمنين الحقيقيين، أرفع من أن يكون فريضة من الفرائض الدينية، لأنهم يقومون به بكل سرور وسخاء، مشاركة لله في اهتمامه بالمحتاجين على اختلاف أجناسهم، دون انتظار لجزاء أو ثواب- ذلك لأنهم نالوا من الله بمجرد إيمانهم القلبي بالمسيح بركات وهبات لا تقدر بكل ما في العالم من ثروة [3]. ومن ثم فمهما ضحوا من صحة أو وقت أو مال في سبيل الله، يرون أنهم لم يفعلوا شيئاً على الإطلاق.

(ب)-والوحي الإلهي يضع أمامنا صورة مشرفة لمؤمنين تفانوا في البذل والعطاء، لدرجة أصبحوا معها في حالة الفقر المدقع. فقال عنهم

إنهم على الرغم من اجتيازهم في ضيقة مالية قاسية، أعطوا من القليل الذي لديهم بفرح وسخاء حتى أصبحوا فقراء، ذلك لأنهم أعطوا فوق طاقتهم كثيراً (2كورنثوس 8: 1- 4). ومن ثم ينهي الرسول جميع المؤمنين عن إلقاء رجائهم على المال، ويطلب منهم أن يصنعوا صلاحاً، وأن يكونوا أغنياء في أعمال حسنة، وأسخياء في العطاء وكرماء في التوزيع (1تيموثاوس6: 17- 21).

3- التسبيح:

فقد قال الرسول "فلنتقدم به (أي المسيح) في كل حين لله، ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه" (عبرانيين 13: 15)، وإزاء هذه الآية نقول:

(أ)-إن التسبيح هو التعبير عن الفرح القلبي بسبب هبات الله وعطاياه. وقول الرسول عن التسبيح إنه "ثمر شفاه"، يدل على أن له أساساً أو جذوراً في القلب، وطبعاً القلب النقي المخلص لله. فمكتوب "صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين" (مزمور 118: 15). و "بالمستقيمين يليق التسبيح" (مزمور 33: 1). وقد عرف أتقياء العهد القديم أيضاً أن التسبيح المذكور هو ذبيحة في نظر الله. فقال داود النبي "اذبح لله حمداً" (مزمور 50: 14). كما قال له "فلك أذبح ذبيحة حمد" (مزمور 116: 17) أما التسبيح الخارج من الشفتين فحسب، لا يعتبر ذبيحة أمام الله، بل ولا يكون له أي مذاق أمامه. ولذلك يحرضنا الرسول على التسبيح بالقلب فقال "مترنمين في قلوبكم للرب" (كولوسي3: 16).

(ب)-وقول الوحي عن التسبيح إنه (ثمر شفاه "معترفة باسمه"، أو بالحري باسم المسيح) دليل على أن مادة التسبيح الحقيقي يجب أن تكون شخص المسيح نفسه، لأنه هو وحده موضوع سرور الله (متى 3: 17) وسرورنا نحن أيضاً (حبقوق3: 18).

كما أن هذا التسبيح (كما يتضح من هذه الآية) يجب أن يكون "كل حين"، لأن إحسانات الله تتهاطل علينا في كل حين. و"التسبيح كل حين" من شأنه أن يرفع نفوسنا فوق أهواء العالم وهمومه، ويحفظها في حالة التأثر بالرب وإحساناته، الأمر الذي يبعث إليها بالنشاط الروحي ويقدرها على خدمة الرب وإكرامه.

(ج)-وقول الوحي "فلنتقدم به (أي بالمسيح) لله ذبيحة التسبيح" دليل على أنه بالإضافة إلى ضرورة نقاوة القلب، فإن التسبيح لا يحوز رضى الله إلا إذا كان مرفوعاً إليه بواسطة المسيح كرئيس الكهنة العظيم، لأنه هو الذي يستر كل نقص أو عيب فيه، بما يخلعه عليه من استحقاقاته الشخصية. وبذلك يكون مقبولاً كل القبول أمام الله.

(د)-أخيراً، إن تحريض الوحي لنا على التسبيح بعد قوله لنا: "فلنخرج إليه خارج المحلة"، دليل على أنه ليس هناك مجال للتسبيح، إلا إذا انفصلت قلوبنا عن أهواء العالم وانطلقت لتكون مع المسيح.

25- كلمة "رأفة" هنا، ترد في الأصل اليوناني في صيغة الجمع، أي "رأفات"، للدلالة على كل أنواع الرأفة التي عاملنا ويعاملنا الله بها.
26- كما جاء في بعض النسخ الإنجليزية للكتاب المقدس- ومما تجدر الإشارة إليه أن كلمة "العبادة" ترد بمعنى التعبد لله من أجل إحساناته، كما ترد بمعنى الخدمة التي يجب علينا القيام بها من نحوه بوصفنا عبيداً له. والقرينة تدل على أن المعنى الثاني هو المراد في الآية التي نحن بصددها.
27- وهذه البركات هي الغفران والتبرير والتطهير والتقديس والولادة من الله والبنوة له، والتمتع بالحياة الأبدية، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب "قضية الغفران".

رفع البخور والعناية بالمنارة وترتيب خبز الوجوه، وما يدل عليه في العهد الجديد

أولاً- رفع البخور، ومدلوله في العهد الجديد

من (خروج 30: 9- 10، 34- 38) نرى أن البخور كان يرفع إلى الله داخل القدس، على مذبح الذهب أو البخور [1]. وكان يتكون من أربعة أصناف عطرية هي: الميعة (وتشبه المر السائل)، والأظفار (وهي مادة صلبة تطحن، وتصدر منها رائحة طيبة) والقنة (وهي دهن له رائحة نفاذة، وتستعمل لتثبيت العطور وحفظ رائحتها)، واللبان النقي (ويستعمل في صناعة بعض الأدوية). وكانت هذه المواد تؤخذ بمقادير متساوية. وبعد سحقها جيداً تملح بملح لصيانتها من الفساد، ثم تركب معاً في تناسق تام، وإزاء ذلك نقول:

(أ)-إن الميعة رمز إلى محبة المسيح التي كانت تتقاطر منه أينما سار، والأظفار رمز إلى صلابته ضد كل انحراف عن الحق. والقنة رمز إلى بقاء صفاته كما هي بكامل فعاليتها في كل الظروف والأحوال. واللبان رمز إلى قدرته على علاج النفوس وشفائها من عللها. وكما أن رائحة البخور من شأنها أن تتصاعد إلى العلاء وتفيح في كل الأرجاء، هكذا فإن حياة المسيح التي عاشها على الأرض قد أنعشت (إن جاز التعبير) قلب الله في السماء، وأنعشت وتنعش قلوب قديسيه في كل الأنحاء. ومن ثم كان هذا البخور يعتبر "قدس أقداس"، أي لا يجوز لإنسان أن يصنع مثله، وكان ذلك إشارة إلى أن المسيح لا مثيل له في كماله على الإطلاق.

والمؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، بوصفهم كهنة لله، ليس لديهم بخور (أو تعبد) يرفعونه إليه، أسمى من أن يظهروا اعتزازهم القلبي بكمالات المسيح، وأن يرفعوا أمامه شكرهم العميق لأجل بركاته الغنية. كما أن الله في مجده، ليس هناك أشهى وأجمل لديه من أن يراهم يعتزون بابن محبته، ويقدرون بركاته حق التقدير بكل قلوبهم.

(ب)-وبمناسبة أهمية البخور في العهد القديم نقول: إننا إذا رجعنا إلى حادثة القضاء على قورح ورفقائه، الذين أرادوا أن يقيموا أنفسهم كهنة بدون أمر الله، نرى هرون يأخذ المجمرة ويضع فيها بخوراً مع نار من المذبح، ويذهب بها مسرعاً إلى الشعب ليكفر عنهم (العدد 16: 46) وهناك وقف ببخوره بين الموتى والأحياء، فامتنع الوباء- وكان ذلك رمزاً إلى ربنا يسوع المسيح الذي على أساس رائحته الذكية المنبعثة من كمالاته، يشفع في شعبه كرئيس الكهنة جالباً إليهم رضى الله وعطفه في كل حين.

والبخور، كما يرمز إلى المسيح، يرمز أيضاً إلى الصلاة. فقد جاء في (رؤيا5: 8) عن الشيوخ "ولهم جامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين. وقد عرف هذه الحقيقة كاتب المزامير فقال لله "لتستقم صلاتي كالبخور قدامك" (مزمور 141: 2)، أما البخور في حد ذاته فر قيمة له لدى الله في العهد الجديد، إذ أن هذا العهد ليس عهد الرموز بل عهد الحقائق الروحية.

وهناك علاقات وثيقة بين مذبح المحرقة وبين مذبح البخور: (الأولى) كان هرون يقدم على المذبح الأول كل صباح ومساء المحرقة الدائمة، ثم يدخل تواً إلى القدس لكي يوقد البخور على المذبح الثاني

(الثانية) إن الدم الذي كان يسفك على المذبح الأول، كان يؤخذ بعضه إلى الثاني، وذلك للدلالة على أن الفداء الذي تم على الصليب هو أساس العبادة التي يليق تقديمها لله. (الثالثة) إن النار التي كان يوقد عليها البخور عند المذبح الثاني، كانت تؤخذ من النار التي على المذبح الأول، الأمر الذي يدل على أن رائحة عمل المسيح الكفاري على الصليب، هي الرائحة الذكية الوحيدة التي يسر الله أن يتقبلها في حضرته.

(د)-أخيراً نقول إن الوحي كان يحذر كهنة العهد القديم (أولاً) من استعمال بخور غريب، وكان ذلك إشارة إلى أنه لا شيء سوى رائحة المسيح الذكية يمكن أن يقبلها الله في عبادتنا. (ثانياً) من تقديم ذبيحة أو تقدمة أو سكيب على مذبح البخور. لأن في هذا خلطاً بينه وبين مذبح المحرقة- وهذا الخلط هو ما يقع فيه من يجتمعون للعبادة في الوقت الحاضر وهم غير متأكدين من أمر خلاصهم. ولذلك عوضاً عن أن يتأملوا في المسيح ويقدموا الحمد والشكر لله، لأجل ما نالوه من عطاياه، ينشغلون بأنفسهم فيتوسلون إليه لأجل خلاصها (ثالثاً) من تقديم نار غريبة، لأن النار الوحيدة التي كانت تستعمل في البخور، هي المأخوذة من مذبح المحرقة، أو بالحري من عند الرب (لاويين 9: 24) وكان ذلك إشارة إلى أن العبادة يجب أن تكون نابعة من المسيح في كمال عمله الكفاري، وليس من عواطف بشرية أياً كان نوعها.

ثانياً-العناية بالمنارة، ومدلولها في العهد الجديد

من (خروج25: 31- 40، 27: 20، 7، 8) يتضح لنا ما يأتي:

(أ)-إن المنارة كانت تصنع من الذهب النقي [2]، إشارة إلى أن الرب يسوع هو ابن الله الكامل الذي أضاء العالم بنوره الأدبي الوهاج. فقد قال عن نفسه "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة" (يوحنا8: 12). وكون المنارة هي الواسطة الوحيدة لإضاءة القدس (لأنه لم يكن به أية نافذة يدخل منها النور من الخارج)، إشارة إلى أن الرب يسوع هو النور الوحيد الذي يجب أن نسير في هداه. والفروع الستة الخارجة من المنارة والتي تضيء مثلها، رمز إلى المؤمنين الحقيقيين الذين بسبب اتحادهم المستمر بالمسيح، يضيئون في العالم بحياتهم الطاهرة وأعمالهم الصالحة. فقد قال المسيح لهم "أنتم نور العالم" (متى5: 14). وقال الرسول عنهم إنهم كأنوار في العالم (فيلبي2: 15). وزيت الزيتون النقي الذي كان يوضع في سرج المنارة من وقت

لآخر لكي تظل منيرة على الدوام، إشارة إلى الروح القدس الذي مسح به المسيح كابن الإنسان (إشعياء 61: 1)، كما مسح به المؤمنون الحقيقيون (2كورنثوس 1: 21و 22)، وهذا الروح هو العامل فيهم للإضاءة، وبالحري لإظهار صفات المسيح في حياتهم.

(ب)-والملاقط التي كانت تستخدم في النقاط البقايا المحترقة من فتائل السرج، إشارة إلى الوسائل التي يحتاج إليها المؤمنون الحقيقيون (بوصفهم الأواني التي يستخدمها الروح القدس للإضاءة في العالم) لأجل تنقيتهم حتى يقوموا بهذه المهمة خير قيام. والمنافض التي كانت تجمع فيها المواد المحترقة لكي لا تتناثر هنا وهناك، إشارة إلى أن ما يبدو من هؤلاء المؤمنين من النقائص يجب ألا يذاع، بل أن يحصر في أضيق دائرة ممكنة، ثم يوارى في الحال عن الأنظار.

وإن كانت خدمتا "تنقية المؤمنين وعدم إذاعة ما يبدو منهم من نقائص" يقوم بهما الرب يسوع المسيح نفسه مباشرة لهؤلاء المؤمنين، وذلك بواسطة تأثير الروح القدس وكلمته في قلوبهم، غير أنه كثيراً ما يدعو بعضهم للقيام بها نحو البعض الآخر، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض" (يوحنا 13: 14). وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة فقال لهم "أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأخذ في زلة، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك، لئلا تجرب أنت أيضاً" (غلاطية 6: 1). وبهذه الوسيلة يمكن رد نفوس العاثرين من المؤمنين إلى الله، وتجنيبهم الاستمرار في الخطأ الذي يجلب عليهم العار والتأديب.

(ج)-ومما تجدر ملاحظته أن الكاهن كان يصلح السرج في كل صباح، في نفس الوقت الذي كانت تقدم فيه المحرقة الدائمة ويوقد البخور الدائم، الأمر الذي يرمز إلى أنه على أساس كمال ذبيحة المسيح، تؤدي الخدمات الكهنوتية لإظهار قوة الروح القدس في حياة المؤمنين، حتى تكون شهادتهم مضيئة ولامعة، ويكون سجودهم مقبولاً أمام الله- فخدمة المسيح الكهنوتية في السماء على أساس ذبيحته الكاملة فوق الصليب مرتبطة كل الارتباط بإظهار نوره في حياة المؤمنين، ومرتبطة أيضاً كل الارتباط بتقديم هؤلاء للعبادة المقبولة أمام الله. ومن هذا يتضح لنا أن عبادة المؤمنين في الأقداس، وسلوكهم في العالم كأنوار له، مرتبطان كل الارتباط.

ثالثاً-ترتيب خبز الوجوه

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في فصل الأطعمة الكهنوتية، ولا داعي لتكرار ما ذكرناه.

28- كان يسمى مذبحاً بسبب رفع البخور أمامه، لأن البخور رمز إلى التسبيح، والتسبيح يعتبر ذبيحة في نظر الله كما مر بنا. وكان هذا المذبح مصنوعاً من خشب السنط المغشى بالذهب النقي، إشارة إلى شخص ربنا يسوع المسيح بوصفه الله الظاهر في الجسد. وكان هذا المذبح أعلى من التابوت والمائدة، إشارة إلى أن المسيح هو القائد الوحيد لتسبيح شعبه. وكانت للمذبح قرون على جوانبه، إشارة إلى قوة خدمة المسيح الكهنوتية التي تضمن قبول تسبيحنا لدى الله. أما الإكليل الذهبي الذي كان يوجد حول قمة هذا المذبح، فإشارة إلى المجد والكرامة المكلل بهما المسيح (عبرانيين 2: 9) والذي على أساسهما يخلع على عبادتنا قيمة عظمى أمام الله.

29- يقال إن وزنها كان 75 كيلو جراماً من الذهب النقي

الأعمال الروحية المتعلقة بالله، وما يقابلها في العهد الجديد

1- تقبل أقوال الله:

قال موسى لله عن بني إسرائيل عامة والكهنة منهم خاصة: "وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك" (تثنية 33: 3)- رأينا فيما سلف أن الكهنة عند قدمك، يتقبلون من أقوالك" (تثنية 33: 3)- رأينا فيما سلف أن الكهنة كانوا يدرسون أقوال الله ويحفظونها، ونرى هنا المجال الروحي السامي الذي كانوا يتلقون فيه هذه الأقوال. فهم لم يتلقوها في مدرسة بها أشهر العلماء، بل تلقوها من الله مباشرة، وذلك أثناء جلوسهم بكل خشوع وتواضع في حضرته القدسية.

وهذه الحضرة، لكن بصورة أقرب كثيراً إلى قلوب كهنة العهد الجديد كما اتضح لنا مما سلف، هي أيضاً المجال الذي يتقبلون فيه أقوال الله. نعم إن الإصغاء إلى أقوال الله عن طريق الوعاظ والمعلمين يترك أثراً طيباً في النفس. ولكن الوجود بالإيمان في حضرة الله وحفظ النفس تحت تأثيره والإصغاء القلبي لأقواله، يجعل لها فعالية دونها كل فعالية أخرى. وهذا هو السبب في قول المسيح لنا "ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم

واحد وهو المسيح" (متى 23: 10). وقوله "وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (متى 11: 29). فضلاً عن ذلك فإن الوجود في حضرة الله هو الوسيلة الوحيدة لتلقي التعليم الذي يريد الله أن يبعث به إلى الآخرين. ولذلك أعلن تعالى سر الذين ينادون بأقواله، دون أن تكون لهم علاقة حقيقية معه. فقال عنهم "لو وقفوا في مجلسي، لأخبروا شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم" (إرميا23: 22).

2- العبادة:

ذكرنا في الباب السابق شيئاً عن العبادة، ونقول الآن إنها تختلف عن الشكر والصلاة، وكانت الثلاثة تؤدي غالباً بترديد عبارات محفوظة مقتبسة من صلوات أنبياء العهد القديم، أو معمولة بواسطة رجال الدين في هذا العهد. والعبادة تتميز بأنها سكب ما في القلب من حب وإكرام لله، وذلك لقدرته وجلاله، أو حبه وحنانه، أو حكمته وعلمه. أو.. أو... ولذلك فالعبادة والسجود القلبي هما شيء واحد. والسجود في المسيحية غير مرتبط بمكان أو زمان على الأرض، لأن مجاله هو الأقداس السماوية في أي وقت من الأوقات. وقد أعلن الرب عن هذا السجود يجب أن يكون بالروح والحق (يوحنا 4: 23). أي يجب أن يكون بواسطة عمل الروح القدس في القلب، وذلك في نطاق الحق الإلهي المعلن لنا. وهذا على النقيض من العبادة في العهد القديم. فقد كانت عبادة طقسية، مقيدة بمواعيد خاصة، ومحصورة في نطاق الهيكل اليهودي.

3- الشكر:

إن تقديم الشكر لله من أجل عطاياه عمل عادي، كان يقوم به كاهن العهد القديم، كما يقوم به كل إنسان في الوجود. لكن تقديم الشكر لله حتى من أجل الظروف المؤلمة التي يسمح لنا باجتيازها، عمل لا يستطيع كل الناس أن يقوموا به. لأنه يتطلب سمواً في الحياة الروحية، كما يتطلب أفقاً متسعاً، ونظراً بعيداً، وتوافقاً مع الله في مقاصده حتى إذا كانت تتعارض مع رغباتنا. وهذه المميزات لا تتوافر إلا في كهنة العهد الجديد، ولذلك فإنهم يشكرون في كل شيء (1تسالونيكي5: 18)، وعلى كل شيء (أفسس5: 20) لأنهم يعلمون أن كل الأشياء (حلوها ومرها معاً) تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده (رومية 8:

28) وطبعاً إذا كان الشكر لله من أجل الأمور التي تسرنا مقبولاً لديه، فإن الشكر له من أجل الأمور التي تبعث إلينا بالآلام، أكثر قبولاً لديه تعالى.

4- الصلاة:

والصلاة من أجل ما نحتاج إليه من أمور روحية أو مادية، هو أيضاً عمل عادي كان يقوم به كاهن العهد القديم، كما يقوم به كل إنسان في الوجود. أما كهنة العهد الجديد، فإنهم ينظرون إلى جميع الناس بنظرة الله إليهم. ومن ثم يهتمون بأمورهم، كما يفعل تعالى تماماً. ولذلك لا يصلون لأجل أنفسهم وذويهم فحسب، بل يصلون أيضاً لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار (1تيموثاوس2: 1و 2). كما يصلون من أجل المرضى والمساكين والمتألمين والمتضايقين، وهم يشعرون في نفوسهم بالآلام التي يعانيها كل فريق من هؤلاء، وأكثر من ذلك يصلون من أجل الذين يسيئون إليهم ويطردونهم (متى 5: 44)، لكي يفتح الله بصائرهم، فيتمتعوا لخلاصه ويسيروا في سبيله، كما أن الصلاة لديهم ليست مجرد فريضة يقومون بها في أوقات خاصة، بل إنها عمل حيوي لا يستطيعون الاستغناء عنه لحظة. فهي بالنسبة إلى نفوسهم مثل الهواء بالنسبة إلى أجسامهم. ولذلك قيل لهم بالوحي أن يصلوا بلا انقطاع (1تسالونيكي 5: 16)، وأن يصلوا بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين (أفسس 6: 18)، حتى يكونوا هم أنفسهم صرة (مزمور 109: 4).

أخيراً نقول: كما أن الله كان يرفض كل بخور يقدم إليه بنار غريبة، فإنه يرفض الآن كل عبادة أو شكر أو صلاة لا يكون العامل فيها الروح القدس. لأننا لا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي- بسبب الفجوة المترامية الأطراف بيننا وبين الله- ومن ثم فإن هذا الروح وحده هو الذي يشفع فينا (أو بالحري يعضدنا) بأنات لا ينطق بها (رومية 8: 26)، وذلك لأن روح الله هو الذي يعرف كل شيء عن الله وعن نفوسنا معاً. وقد عرف قدامى الأرثوذكس مثل غيرهم، وجوب الصلاة بالروح القدس. فقال أحدهم "إن الصلاة الروحانية تكون من فعل الروح القدس وتدبيره، وليس من فعل الإرادة وسلطانها. وإن الصلاة بالروح أسمى من الصلاة بالقلب والعقل، لأن فيها يصبح وجود الله حقيقة ملموسة للنفس". وقال غيره: إني لا أعمل جهداً ما في خدمتي أو صلاتي، لأني لا أتحرك فيهما بإرادتي،

بل أنصت إلى صوت الروح القدس فيَّ، وبذلك يشتعل قلبي بالحب للرب. وقال آخر: إذا حل الروح القدس في إنسان، لا يستطيع أن يتوقف عن الصلاة، لأن الروح يعضده باستمرار على القيام بها، سواء أكان آكلاً أم شارباً، أم مستريحاً أم منشغلاً (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 70و 87و 431و 432).

الباب الخامس: الخدمات الكهنوتية الخاصة بالناس في العهد القديم ومدلولها في العهد الجديد

تطهير المصابين بالبرص[1] والملوثين بالنجاسة في العهد القديم

أولاً-تطهير المصابين بالبرص في العهد القديم، ومدلوله في العهد الجديد

بالرجوع إلى (لاويين13و 14) يتضح لنا ما يأتي:

1- إذا رأى الكاهن في جسم إنسان بقعة ذات علامات معينة، كان يعتبره (بما له من تمييز كهنوتي) مصاباً بالبرص. ومن ثم كان يطرده خارج المحلة، فيذهب المسكين إلى هناك مشقوق الثياب عاري الرأس. كما كان يغطي شاربه وينادي وهو خارج المحلة، قائلاً عن نفسه "نجس نجس". وذلك لكي لا يدنو أحد منه، فيتنجس مثله. لكن إذا رأى الكاهن أن الإصابة غطت جسم الأبرص كله، كان يعتبره طاهراً- وإزاء ذلك نقول:

إن البرص كان رمزاً إلى الخطيئة، فإنها تجلب العار والمذلة على صاحبها، كما تفقده مقامه بين الناس وتحول بينه وبين العلاقة مع الله. واعتبار الإنسان الذي تصدر منه أصغر الخطايا، لا يعتبر أمام الله باراً بل خاطئاً ونجساً أيضاً (متى5: 22). لكن بمجرد اعتراف هذا الإنسان بعدم وجود شيء صالح فيه (رومية 7: 18)، تتداخل نعمة الله وتعلن طهارته بناء على كفاية كفارة المسيح (1يوحنا1: 7). وتصرف كهنة العهد القديم هذا، فيه إشارة إلى أن المؤمنين الحقيقيين القائمين في حضرة الله يستطيعون بما لديهم من تمييز كهنوتي أن يدركوا أي شر يمكن أن يوجد في إنسان ما بينهم [2]، ولذلك يقومون بعزله، إذا لم يصلح النصح فيه (1كورنثوس5: 13). لكن إذا وجدوا أنه تاب توبة حقيقية، فإنهم يعيدونه إلى الشركة معهم (2كورنثوس2: 7و 8).

2- وعندما كان الأبرص يعتبر طاهراً، كان الكاهن يأمر بأخذ عصفورين، مع خشب أرز وقرمز وزوفا. وبعد ذبح أحد العصفورين في

إناء خزفي على ماء حي (أو بالحري ماء جار)، كان يغمس العصفور الآخر مع الأرز والقرمز والزوفا في دم العصفور المذبوح، ثم ينضح على الأبرص الذي برئ بالدم، سبع مرات. وبعد ذلك كان يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء. أما الأبرص فكان يغسل ثيابه ويحلق شعره ويستحم بماء. وبعد سبعة أيام كان يحلق شعر رأسه ولحيته وحواجب عينيه- وإزاء ذلك نقول:

(أ)-إن العصفور المذبوح يرمز إلى ربنا يسوع المسيح الذي مات كفارة عنا ليطهرنا من خطايانا، والإناء الخزفي رمز إلى الشعور بالضعف (2كورنثوس4: 7)، والماء الحي رمز إلى كلمة الله عاملة بقوة الروح القدس (أفسس5: 26). أما العصفور الحي- فلاقترانه بالعصفور المذبوح بواسطة انغماسه في دمه، ثم تركه طليقاً بعد ذلك ليطير نحو السماء- كان رمزاً إلى ربنا يسوع مقاماً من الأموات وصاعداً إلى السماء، حاملاً معه آثار كفارته الكريمة أمام الله (عبرانيين 9: 12)، لتبرير كل من يؤمن إيماناً حقيقياً وخشب الأرز لضخامة شجره، يشير إلى كل ما في العالم من رفعة. والقرمز، للونه الأحمر الزاهي، يشير إلى كل ما في العالم من رونق. وعشب الزوفا، لصغره وقصره، يشير إلى الظهور بمظهر التواضع الجسدي (كولوسي2: 18و 23). والماء الحي الذي يوضع فيه الدم رمز إلى الكرازة بكلمة الله المصحوبة بالروح القدس (أفسس5: 16، يوحنا 7: 38- 39)، عن الكفارة التي قام بها المسيح. وغمس الأرز والقرمز والزوفا في الماء المذكور، رمز إلى أن الناس سواء أكانوا في نظر أنفسهم أبراراً أم أشراراً، عظماء أم أدنياء، يحتاجون إلى التطهير بالدم والغسل بكلمة الله. ونضح المتطهر بالماء والدم رمز إلى قبول الخاطئ في نفسه للكفارة كما هي معلنة في كلمة الله، الأمر الذي يؤثر في نفسه وينقيها. ومن ثم يصبح طاهراً في الباطن، كما هو طاهر في الخارج أمام الله في المسيح.

(ب)-وغسل الأبرص لثيابه إشارة إلى التدريب الروحي الذي يقوم به الخاطئ الذي يؤمن، وذلك للتخلص من كل الأقذار السابقة. وحلق الأبرص لشعره واستحمامه بماء، إشارة إلى الاحتياطات التي يجب على هذا الشخص اتخاذها، للسلوك بالقداسة والطهارة. وقيام الأبرص بهذه الأعمال بعد سبعة أيام، إشارة إلى بقاء الشخص المذكور مدة كافية من الزمن يمتحن فيها نفسه، حتى يقضي على كل فكر أو قول أو فعل يتعارض مع قداسة الله حتى يكون مهيأ للعبادة مع القديسين.

3- وبعد ذلك، كان الأبرص الذي تم تطهيره يأتي بخروفين بلا عيب ونعجة واحدة حولية بلا عيب، وثلاثة أعشار دقيق تقدمه ملتوتة بزيت، ولج زيت[3]. فيقدم الكاهن الخروف الأول ذبيحة إثم ويردده أمام الرب. ثم يأخذ من دمه ويضع على شحمة أذن الأبرص المذكور اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى. وبعد ذلك كان الكاهن يمسح هذه الأعضاء بالزيت. ثم يصب الباقي منه على رأس هذا الأبرص. وأخيراً كان يقدم الخروف الثاني ذبيحة خطية والنعجة ذبيحة محرقة، وتقدمة الدقيق قرباناً رائحة سرور لله- وإزاء ذلك نقول:

(أ)-إن تقديم ذبيحة الإثم عن الأبرص المذكور، رمز إلى أنه ليس هناك اقتراب إلى الله إلا على أساس ذبيحة المسيح الكفارية. ومسح أعضائه المشار إليها بالزيت بعد الدم، إشارة إلى أن المؤمن المفدى بالدم، يجب أن ينقاد بالروح القدس في كل عمل من أعماله. فلا يستمع إلا لأقوال الله، ولا يعمل إلا ما يريده الله، ولا يسير إلا في طريق الله. وصب باقي الزيت على رأسه، إشارة إلى أن هذا المؤمن أصبح بكلياته وجزئياته ملكاً لله، فمكتوب "وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام" (2كورنثوس5: 14- 15).

(ب)-وتقديم ذبيحتي الخطية والمحرقة معاً إشارة إلى توجيه نظر المؤمن المذكور إلى فوائد كفارة المسيح المتعددة، التي تواجه كل حاجة من حاجاته فهي تنزع عنه من أمام الله شر الطبيعة الخاطئة التي لا تصلح بأي مجهود ذاتي كما تجعله مقبولاً كل القبول أمامه تعالى في المسيح، وبذلك تستريح نفس هذا المؤمن كل الراحة ويقدم لله الشكر اللائق برحمته ونعمته. وتقديم تقدمة الدقيق إشارة إلى توجيه نظره بعد ذلك إلى كمالات المسيح حتى تشبع نفسه به ويجد فيه كل لذته ومسرته، الأمر الذي يقوده إلى التمسك به والسير في سبيله.

ثانياً-تطهير الملوثين بالنجاسة المادية، ومدلوله في العهد الجديد

إن مراعاة القداسة الكاملة في كل أمر من الأمور، عمل ضروري لكل المؤمنين الحقيقيين، حتى تكون لهم علاقة مستمرة مع الله. ولذلك وضع تعالى أمامنا العلاج الكافي لكل نجاسة يمكن أن نتعرض لها أثناء سيرنا في العالم الحاضر، ليس لكي نتبرر أمامه تعالى (لأن تبريرنا تم مرة واحدة وإلى الأبد بواسطة كفارة المسيح الدائمة الأثر، عندما آمنا به إيماناً حقيقياً (رومية5: 1))، بل لكي تظل شركتنا معه دون عائق أو مانع طوال

سيرنا في هذا العالم. وفيما يلي نرى العلاج الذي وضعه الله في العهد القديم للتطهير من النجاسة المادية، مثل ليس الميت أو شيء قذر (العدد 19). وما نستطيع أن نفيده من هذا العلاج بحالة روحية في العهد الجديد:

1- كان بنو إسرائيل يقدمون لألعازر الكاهن بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يوضع عليها نير- وإزاء ذلك نقول:

(أ)-إن كون البقرة أنثى، إشارة إلى ظهور المسيح بمظهر الضعف وخضوعه حتى الموت موت الصليب (مزمور 102: 23، 88: 4، 2كورنثوس 13: 4)، وذلك لعلاج كل ضعف (2كورنثوس 12: 9و 10) يمكن أن يظهر فينا. كما أننا إذا فتحنا قلوبنا للشر المحيط بنا في الخارج، أو سمحنا لطبيعتنا العتيقة بالظهور بشرها في أفكارنا وعواطفنا في الداخل، نضعف ونكون كمن لمسوا ميتاً، وتبعاً لذلك نكون قد تنجسنا وأصبحنا في حاجة إلى معونة المسيح.

(ب)-وكون البقرة صحيحة لا عيب فيها، إشارة إلى كمال المسيح وعدم وجود أي عيب فيه (1بطرس 2: 22، 2كورنثوس 5: 21، 1يوحنا 3: 5). وكونها حمراء (أو بالحري مهيأة منذ ولادتها لتكون ذبيحة خطية)، إشارة إلى أن الغرض الوحيد من مجيء ربنا يسوع المسيح إلى العالم هو لكي يبذل نفسه فدية عن كثيرين (مرقس 10: 45). وعدم انحنائها تحت أي نير، إشارة إلى عدم خضوع المسيح للخطية. فهو تبارك اسمه، لم يكن فقط خالياً منها، بل وأيضاً لم يذعن لها في أي دور من أدوار حياته.

2- وكانت هذه البقرة تذبح وتحرق أمام ألعازر خارج المحلة [4]، ثم ينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وبعد حرقها بأكملها كان الكاهن يطرح في حريقها خشب الأرز وزوفا وقرمزاً، ثم يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء، ويكون نجساً إلى المساء. والذي ذبح البقرة وحرقها يغسل ثيابه ويرحض جسده، ويكون نجساً أيضاً إلى المساء، ثم يجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر، فيكون بعد مزجه بماء حي (أو بالحري ماء جار) وسيلة للتطهير. وكان هذا المزيج يسمى "ماء النجاسة" أو "ماء الانفصال [5]". والذي جمع رماد البقرة كان يغسل ثيابه أيضاً، ويظل نجساً إلى المساء- وإزاء ذلك نقول:

(أ)-إن ألعازر الكاهن يرمز إلى المؤمن الحقيقي الذي يعيش في حضرة الله باستمرار، والذي يستطيع تبعاً لذلك أن يتداخل في تطهير العاثرين من إخوته. وذبح البقرة وحرقها أمام عينيه، رمز إلى إدراك هذا المؤمن من أول الأمر كفاية موت المسيح للتكفير عن الخطايا، وتأثره بهذه الحقيقة المباركة تأثراً عميقاً. وحرق البقرة بأكملها خارج المحلة، رمز إلى أن الله اعتبر المسيح بوصفه نائبنا، كأنه ذات جسد الخطية الذي لا يسكن فيه شيء صالح، والذي يجب إبعاده نهائياً عنه تعالى (عبرانيين 13: 12). ونضح الكاهن من دم الذبيحة إلى وجه خيمة الاجتماع سبع مرات، رمز إلى أن أساس الشركة مع الله، هو كفاية دم المسيح للتكفير عن الخطية. وطرح خشب الأرز والزوفا والقرمز في وسط حريق البقرة، رمز إلى طرح كل ما يفخر به الناس من رفعة أو رونق أو اتضاع ظاهري (أوبالحري ما يفخرون به من أعمال صالحة وعبادة منمقة وتقشف جسدي) لأن هذه الأعمال فضلاً عن أنها لا تستطيع أن تسدد شيئاً من مطالب عدالة الله التي لا حد لها، فإنه لا قيمة لها أمام الله إزاء دم المسيح الكريم (فيلبي 3: 7- 9) إذ أن قيمة هذا الدم لا تقل عن قيمة المسيح، وقيمة المسيح لا حد لها على الإطلاق. وغسل الكاهن لثيابه وترحيضه لجسده واعتباره نجساً إلى المساء، رمز إلى أن المؤمن الحقيقي الذي يتأمل في المسيح كمن حمل الدينونة عنه وعن الآخرين، يدرك ما في باطنه هو من فساد، حتى إذا لم يكن قد تدنس فعلاً بشر من الخارج. وبذلك يتقوى فيه الشعور بالحاجة إلى الاغتسال بكلمة الله المرموز إليها هنا بالماء، لكي يكون نقياً في باطنه النقاوة التي يريدها تعالى.

(ب)-والشخص الذي ذبح البقرة وحرقها، والذي جمع رمادها بعد ذلك، رمز إلى المؤمنين الذين يتعاونون مع المؤمن الأول (المرموز إليه بأليعازر) في خدمة العاثر من إخوتهم. وغسل الشخصين المذكورين لثيابهما وترحيضهما لجسديهما واعتبارهما نجسين إلى المساء، إشارة إلى أن هؤلاء المؤمنين في علاجهم للعاثر يتذكرون خطاياهم الشخصية السالفة، ومن ثم يعتبرون أنفسهم نجسين حتى إذا لم يكونوا قد عملوا وقتئذ في الظاهر خطية ما. ولذلك عليهم أن يضعوا ذواتهم تحت تأثير كلمة الله الحية الفعالة لكي تتطهر كل أفكارهم وعواطفهم وتكون في الحالة التي تتوافق مع قداسة الله. كما عليهم أن يقوموا بالخدمة المذكورة وهم في حالة الاتضاع، عالمين أنهم هم أنفسهم قد يحتاجون يوماً ما إلى مثلها. فقد قال الرسول "أيها الإخوة: إن انسيق إنسان فأخذ زلة،

فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك، لئلا تجرب أنت أيضاً" (غلاطية6: 1).

3- أما الشخص الذي لمس ميتاً وأصبح نجساً من الناحية الطقسية، فكان يرش عليه ماء النجاسة (أو الانفصال) في اليوم الثالث، كما كان يغسل أيضاً نفسه بهذا الماء. وإذا لم يتطهر في هذا اليوم، لا يكون طاهراً في اليوم السابع- وإزاء ذلك نقول:

(أ)-إن ترك المتنجس جانباً ثلاثة أيام لأنه لمس جثة، إشارة إلى أن المؤمن من العاثر يجب أن تعطى له الفرصة المناسبة للحزن على خطيته، والشعور بعدم أهليته للتمتع بالشركة مع الله. وإتيان شخص طاهر (أو بالحري له شركة حقيقية مع الله) إلى المتنجس بعد ذلك ليرش عليه ماء النجاسة، إشارة إلى تزويد المؤمن العاثر بكلمة الله العاملة بقوة الروح القدس. وعدم اكتفاء المتنجس برش هذا الماء عليه، وقيامه بتطهير نفسه شخصياً به، إشارة إلى أن هذا المؤمن، يجب أن يضع نفسه بنفسه تحت تأثير كلمة الله الحية الفعالة حتى تقضي على كل فكر شرير يمكن أن يكون فيه [6]. وقد أشار الرسول إلى ذلك فقال "فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء، لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله" (2كورنثوس7: 1).

(ب)-وصيرورة المتنجس طاهراً في اليوم الثالث، إشارة إلى استراحة ضمير المؤمن الذي أخطأ، بعد أن يكون قد ندم تماماً على خطيته، وأدرك أن المسيح قد حمل فعلاً نجاستها (كما حمل قصاصها) عنه. وتركه لغاية اليوم السابع إشارة إلى أنه يجب أن تكون لهذا المؤمن الفرصة الكافية للحكم على ذاته، حتى يحصل على إدراك كامل لوجوب مراعاة القداسة في كل صغيرة وكبيرة في حياته، ويستطيع تبعاً لذلك القيام بالعبادة والخدمة مع إخوته المؤمنين في حضرة الرب.

30-البرص أحد الأمراض المعدية الخطيرة، وبه تتآكل المفاصل وأصابع الأيدي، ثم أصابع الأرجل، ثم الأنف. ومن ثم فهو رمز إلى الخطية في شرها ونتائجها المريعة.

31- مما تجدر الإشارة إليه أن الأبرص، كما هو رمز إلى الخاطئ البعيد عن نعمة الله، يمكن أن يكون أيضاً رمزاً إلى المؤمن الذي يؤخذ في زلة ما.

32- مكيال يساوي ثلث اللتر عندنا.
33- هذه هي الذبيحة الوحيدة التي كانت تذبح هناك.
34- لأنه كان يستعمل رمزاً إلى الانفصال عن الشر، والرجوع إلى الله.
35- وعلى هذا النسق نقول: إن طلب بعض الناس من الأتقياء أن يصلوا لأجلهم. لا يجدي عليهم خيراً، إلا إذا قاموا هم بالصلاة لأجل أنفسهم.

الأعمال الروحية المتعلقة بالناس في العهد القديم

وما يقابلها في العهد الجديد

1- التمييز: بالرجوع إلى (لاويين 10: 10- 11) يتضح لنا أن الكهنة كانت لهم القدرة على التمييز بين المقدس والمحلل [1]، وبين النجس والطاهر. إذ المفروض فيهم كدارسين لكلمة الله كما ذكرنا في الباب الثاني، أن يعرفوا قضاءه تعالى في كل أمر من الأمور. وهذه المعرفة لا تتوافر في العهد الجديد إلا في المؤمنين الحقيقيين، لأنهم فضلاً عن دراستهم لكلمة الله، فإن الروح القدس يسكن فيهم (1كورنثوس 6: 19)، كما أنهم يعرفون مشيئة الله (أفسس 1: 9)، ويستطيعون اختبار ما هو مرضي أمامه (أفسس 5: 10)، ومن ثم يستطيعون أن يحكموا حكماً صائباً في كل ما يتعلق بأي سلوك في العالم الحاضر (1كورنثوس 2: 15)، فيقررون إذا كان مرضياً أمام الله، أم غير مرضي أمامه.

2- التعليم: إن الكهنة لدراستهم لكلمة الله كما ذكرنا، كان في وسعهم أن ينادوا بها للآخرين. ولذلك أوصاهم الله أن يعلموا بني إسرائيل جميع الفرائض التي أعطاها لموسى النبي. وقد قاموا بهذه المهمة في أول الأمر خير قيام. فقد شهد عنهم موسى قائلاً لله "يعلمون (بني) يعقوب أحكامك و (بني) إسرائيل ناموسك" (تثنية 33: 10). لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة، لأنه رسول رب الجنود (ملاخي2: 7).

والمفروض في المؤمنين الحقيقيين، بوصفهم كهنة الله الدارسين لكلمته أن يخبروا بفضائله (1بطرس 2: 9)، وأن يعظ بعضهم بعضاً (عبرانيين 10: 25). كما يجب أن يقدموا الإنجيل للخطاة بكل قداسة وإخلاص ومحبة، مقتدين بالرسول الذي كان يقوم بهذا العمل بكل تواضع ودموع كثيرة... ولم يكن يحتسب لشيء، ولا كانت نفسه ثمينة عنده حتى يتمم بفرح سعيه" (أعمال 20: 19- 23).. فضلاً عن ذلك يجب أن

يظهروا المسيح في حياتهم وذلك بحفظ نفوسهم ثابتة فيه، لأن السلوك الكهنوتي في الواقع، هو السلوك كما سلك له المجد على الأرض.

3- استخدام الأبواق: وبالإضافة إلى التعليم الذي كان يقوم به كهنة العهد القديم، كان لهم بوقان من الفضة يستعملونها عند طلب التجمع حول خيمة الاجتماع أو الارتحال في البرية. كما كانوا يستعملونها عند الاستعداد للحرب للدلالة على طلب المعونة من الله، وعند الاحتفال بالأعياد وعمل المحرقات وذبائح السلامة للدلالة على رفع هتاف الحمد لله (العدد 10).

والفضة التي كان يصنع منها البوقان رمز إلى كلمة الله (مزمور 12: 6) التي يجب أن نخضع لها بكل قلوبنا. وهي أيضاً رمز إلى الفداء (خروج 38: 25) الذي على أساسه أصبحت لنا علاقة مع الله. والتجمع حول خيمة الاجتماع رمز إلى اجتماعنا باسم المسيح وحوله (متى18: 20) للعبادة والصلاة. والارتحال يذكرنا بأننا غرباء في العالم (1بطرس2: 11)، وأنه من الواجب علينا أن نتطلع بالإيمان إلى وطننا السماوي. والحرب المادية تذكرنا بالحرب الروحية التي نجتاز فيها من وقت لآخر، والتي يجب أن نعد لها العدة الكافية (أفسس 6: 10- 18) ونحن في حالة الاتجاه إلى الله لكي يعطينا الغلبة عليها. والأعياد رمز إلى الأفراح الروحية التي نتمتع بها الآن في عهد النعمة على أساس كفاية كفارة المسيح (1كورنثوس 5: 8) والتي تحفزنا لتقديم التسبيح لله. وذبائح السلامة رمز إلى الشركة الروحية التي أصبح لنا امتياز التمتع بها مع الله والتي تحفزنا لتقديم الشكر إليه- ومن ثم فإننا لا نرفع أصواتنا لله في ظروف الحزن فقط، بل وفي ظروف الفرح أيضاً، وذلك حتى لا يدب فينا اليأس في الظروف الأولى، أو تنزلق أقدامنا إلى مهاوي الخطأ في الظروف الثانية.

4- المباركة: كان كهنة اليهود يباركون بني إسرائيل (العدد 6: 24- 26) وحدهم، وذلك بسبب تعصبهم لقوميتهم، أما المؤمنون الحقيقيون بوصفهم كهنة الله، فقد تجردوا من الأنانية، وأصبح لهم قلب المسيح الذي يحب كل الناس دون استثناء، ولذلك فإنهم يباركون حتى أعداءهم. فقد قال له المجد لهم "باركوا لاعنيكم" (متى 5: 44). وقال الرسول لهم "باركوا على الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا" (رومية 12: 14)، متمثلين بسيدهم الذي عندما كان اليهود والرومان

يدقون المسامير في يديه ورجليه، رفع نظره إلى السماء وقال لله "اغفر لهم يا أبتاه، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا23: 34).

5- الاهتمام بالآخرين: كان كهنة اليهود قلما يهتمون بأمور غيرهم كما يفعل الناس بصفة عامة. لكن ليس هذا هو الحال مع المؤمنين الحقيقيين كهنة العهد الجديد. فقد قال الرسول لهم أن يهتم بعضهم للبعض الآخر اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين (رومية12: 15- 16). كما قال لهم "أسندوا الضعفاء شجعوا صغار النفوس" (1تسالونيكي5: 14). و "لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً" (فيلبي 2: 4). و "فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان. لأن المسيح أيضاً لم يرض نفسه، كما هو مكتوب: "تعييرات معيريك وقعت على" (رومية 15: 2) و"احملوا بعضكم أثقال بعض" (غلاطية6: 2).

مما تقدم يتضح لنا أن المؤمنين الحقيقيين ليسوا فقط كهنة يسجدون ويتعبدون لله في الأقداس السماوية، بل إنهم أيضاً، في كل خطوة من خطواتهم في العالم، ينشرون المحبة والخير والسلام بين الناس، كما يوجهونهم إلى طاعة الله والسير في سبيله.

36- "المقدس" هو ما يخص الله وحده. و "المحلل" هو ما يجوز للناس التصرف فيه.

القسم الثاني: الحجج القائلة بوجوب وجود كهنة بالمعنى الحرفي في العصر المسيحي والرد عليها

الباب الأول: الحجج القائلة بوجوب وجود كهنة بالمعنى الحرفي في العصر، المسيحي لتقديم ذبيحة كفارية، والرد عليها.

الحجج التي يقال بورودها في الإنجيل، والرد عليها

1- (إن قول المسيح عن خبز العشاء الرباني: "هذا هو جسدي". وقوله عن خمره: "هذا هو دمي" (متى 26، مرقس 14، لوقا 22). دليل على أن العشاء المذكور يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه، وتبعاً لذلك

يكون ذبيحة. ومن ثم مع كون جميع المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد، هم كهنة الله بالمعنى الروحي، يجب أن يكون بينهم كهنة بالمعنى الحرفي لتقديم ذبيحة العشاء الرباني).

الرد: إن العشاء الرباني لا يسيل منه دم، ومن ثم لا يكون ذبيحة. أما القول (بأن العشاء الرباني ذبيحة غير دموية، لكونه ذات ذبيحة الصليب التي سفك دمها مرة) فلا يجوز الأخذ به، لأن الذبيحة التي يسفك دمها مرة لا يجوز تقديمها هي بعينها لله مرة أخرى. فضلاً عن ذلك لا يجوز لنا تقديم المسيح ذبيحة لله، لأن هذا العمل خاص به وحده. وقد قام به له المجد بمحض إرادته عندما قدم نفسه كفارة على الصليب. وعلى هذا الأساس دخل بدم نفسه إلى الأقداس السماوية، فوجد فداء، ليس لفترة خاصة من الزمن، بل إلى الأبد الذي لا نهاية له (عبرانيين 9: 12)، الأمر الذي لا يدع مجالاً ليقدم نفسه إلى الله، أو نقدمه نحن إليه تعالى (إن جاز حدوث ذلك) مرة أخرى في العشاء الرباني أو في غيره، وبالإضافة إلى ما تقدم نقول:

(أ)-إن خبز العشاء الرباني وخمره لم يتحولا إلى جسد المسيح ودمه عند قوله عن الأول إنه جسده، وعن الثاني إنه دمه، بل ظلا خبزاً وخمراً عاديين كما كانا من قبل- وهذا دليل على أن حديث المسيح عنهما كان حديثاً مجازياً[1]، لأن الاستحالة إذا لم تكن فعلية، تكون حتماً مجازية أو بالحري معنوية. ومما يثبت ذلك أننا إذا رجعنا إلى اللغة اليونانية، التي هي اللغة الأصلية للعهد الجديد، نرى أن كلمة "هذا" المشار بها إلى كل من خبز العشاء الرباني وخمره، هي "توتو"، التي تستعمل للجماد. ومن ثم لو كان العشاء الرباني يتحول فعلاً إلى ذات المسيح (كما يعتقد القائلون بالاستحالة)، لكان له المجد قد أشار إلى كل من خبز العشاء المذكور وخمره بكلمة "هذا"، التي تستعمل في اللغة اليونانية للعاقل، وهذه الكلمة هي "هوتوس". لأن العشاء المذكور لا يكون في هذه الحالة جماداً، بل يكون هو المسيح بعينه. وكل ما في الأمر، لا يكون (كما يقولون) مدركاً بالحواس الجسدية.

(ب)-أما عن التساؤل (إذا كان حديث المسيح عن العشاء الرباني مجازياً، فلماذا لم يقل عن الخبز (مثلاً): هذا يشير إلى جسدي، أو يرمز إليه؟) فنقول: إذا رجعنا إلى اللغات القديمة بصفة عامة، نرى أن الاصطلاحات "يرمز إلى" و "يشير إلى" و "يدل على" و "يمثل" و

"يشبه"، لم تكن مستعملة كثيراً في هذه اللغات. ولذلك فالقول: "هذا يشير إلى جسدي" (مثلاً)، كان يعبر عنه فقط بالقول: "هذا هو جسدي[2]"، كما هو الحال لدينا في اللغة العربية. فنحن نقول عن شخص شجاع "إنه أسد". ولا نقول "إنه يشبه الأسد" ومن ثم نرى العلماء الذين يميلون إلى الترجمة المعنوية ترجموا قول المسيح "هذا هو جسدي"، بما تعريبه: "هذا يشير إلى جسدي" كما فعلوا تماماً في ترجمة الآية: "والصخرة كانت المسيح" (1كورنثوس 10: 4). فقد قالوا في ترجمتها ما تعريبه "والصخرة كانت تشير إلى المسيح" ذلك لأنها لم تكن عين ذاته- اقرأ مثلاً ترجمة دكتور "موفات" الإنجليزية، للعهد الجديد.

(ج)-فضلاً عن ذلك فإن الاعتقاد بأن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه، ليس هناك ما يؤيده في الكتاب المقدس، وذلك للأسباب الآتية:

(أولاً) إن المسيح ليس طعاماً مادياً يستقبل بالفم، بل طعاماً روحياً يستقبل في النفس.، فقد قال له المجد "من يقبل إلي فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" (يوحنا6: 35).. ولو فرضنا جدلاً إمكانية أكل المسيح بالفم تحت أي شكل من الأشكال، لعادت الفائدة على أجسادنا دون أرواحنا، وهذا يتعارض مع الحق الكتابي كله.

(ثانياً) إن تلاميذ المسيح كانوا يرونه، عند تقديم العشاء الرباني لهم، جالساً بينهم كما هو، دون أن ينقص منه شيء ومن ثم أكلوا خبز هذا العشاء وشربوا خمره دون تردد أو فحص، بل ودون أي نفور من مذاق أو طعم، الأمر الذي لم يكن من الممكن حدوثه لو كانوا يعتقدون أن العشاء المذكور قد تحول إلى ذات جسد المسيح ودمه.

(ثالثاً) إن الذي بذل نيابة عنا لم يكن خبز العشاء الرباني، بل الجسد الذي كان المسيح يعيش فيه وقتئذ. والذي سفك نيابة عنا لم يكن خمر هذا العشاء، بل دم المسيح الذي كان يجري وقتئذ في جسده المذكور، وذلك عندما قدم له المجد نفسه كفارة على الصليب [3]ومن ثم فقول المسيح عن الخبز إنه جسده الذي يبذل، وعن الخمر إنها دمه الذي يسفك، هو مجرد إشارة إلى أنه سيصلب ويسفك دمه.

(رابعاً) إن المسيح قال عن الخمر التي كانت في كأس العشاء الرباني، بعد ما شكر وقدمها لتلاميذه، إنها "نتاج الكرمة" (متى 26:

29، مرقس 14: 25)، كما قال تماماً عن كأس الفصح اليهودي (لوقا22: 18) وهذا دليل على أنه لم يكن هناك فرق بين خمر العشاء الرباني بعد الشكر، وبين خمر الفصح اليهودي العادية.

(خامساً) إن المسيح وإن كان من الممكن أن يوجد بلاهوته في كل مكان في وقت واحد، لكن لا يمكن أن يوجد بناسوته في أكثر من مكان واحد في وقت واحد. (لأن ناسوته كان يتحيز بحيز خاص. فعندما كان له المجد بجسده على الصليب مثلاً، لم يكن في ذات الوقت بجسده في أريحا أو غيرها من البلاد كما أن المسيح بتجسده لم يتحول ناسوته إلى لاهوته غير المحدود، بل ظل كما هو (الناسوت المحدود)، ولذلك ليس هناك مجال للقول بتحول العشاء الرباني الذي عمله المسيح، والذي يعمله المسيحيون الآن في ملايين البلاد في وقت واحد إلى ذات جسده ودمه له المجد. وإذا كان الأمر كذلك فحديثه عن هذا العشاء، هو حديث مجازي محض، كما ذكرنا.

(د)كما أننا إذا رجعنا إلى باقي حديث المسيح عن العشاء الرباني، نرى المجاز أيضاً واضحاً كل الوضوح. فقد قال عن الكأس إنها العهد الجديد بدمه، مع أن هذا العهد ليس هو ذات الكأس أو السائل الذي كان فيها. لأنه (أي العهد) ليس شيئاً مادياً بل معنوياً، إذ يراد به معاملة الله للمؤمنين الحقيقيين بالنعمة المجانية على أساس الدم الكريم، الذي سفك مرة على الصليب. فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسيح كان يكثر من استعمال المجاز في أقواله، وذلك لكي يبرر بعض المعاني الروحية بصورة واضحة يدركها الذين كان يتحدث إليهم حق الإدراك. فقد قال عن نفسه إنه خبز الحياة (يوحنا 6: 35)، والماء الذي يروي العطاش (يوحنا 7: 12)، والباب الذي يخلص كل من دخل بواسطته (يوحنا10: 9)، والطريق الذي يؤدي إلى الآب (يوحنا 14: 6)، والراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف (يوحنا10: 11) والكرمة الحقيقية (يوحنا15: 1). كما قال عن هيرودس الملك إنه الثعلب (لوقا 12: 32) وعن رياء الفريسين إنه الخمير (متى 16: 6)، لا يبقى هناك مجال للاعتراض على أن حديث المسيح عن العشاء الرباني كان حديثاً مجازياً كما ذكرنا.

(هـ) أخيراً نقول إن المسيح لم يعط العشاء الرباني لتلاميذه، لكي يقدموه بدورهم كذبيحة لله لأجل التكفير عن خطاياهم. حتى كان يجوز الظن بأنه يتحول إلى ذبيحته الكفارية التي قدمها مرة على الصليب (كما

يقال) بل أعطاهم إياه لكي بالأكل والشرب منه، يتذكرون محبته الفائقة التي تجلت في ذبيحته هذه، حتى تطيب قلوبهم وتظل على ولائها له في كل حين، وذلك لأجل خيرهم وفائدتهم. فقد قال لهم "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا22: 19).

وإذا كان الأمر كذلك، فلا مجال للقول بأن العشاء الرباني يتطلب كهنة بالمعنى الحرفي، لكي يقدمونه لله.

2- (إن المسيح قال عن خبز العشاء الرباني إنه جسده الذي "يعطى لمغفرة الخطايا"، وهكذا الحال من جهة الخمر التي استعملها في هذا العشاء. فقد قال عنها إنها دمه الذي "يعطى لمغفرة الخطايا". ومن ثم يكون العشاء الرباني ذبيحة كفارية لغفران الخطايا، تتطلب وجود كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: (أ) بمضاهاة هاتين العبارتين على ما جاء في الكتاب المقدس بشأنهما، نرى بهما تحريفاً ليس بالقليل. فقد سجل لوقا عن المسيح أنه أخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطى تلاميذه. ثم قال لهم "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري" (لوقا22: 19). وسجل متى أن المسيح أخذ الكأس وشكر وأعطاها لهم، ثم قال: "اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى 26: 27). ومعنى هاتين الآيتين ينحصر في أن جسد المسيح الذي بذل على الصليب، وأن دمه الذي سفك عليه، هما اللذان على أساسهما تغفر الخطايا. لكن العبارة الواردة في الحجة التي نحن بصددها، مقتبسة من "القداس". وقد أضاف كاتبه كلمة "يعطي"، قبل عبارة "لمغفرة الخطايا" الواردة في حديث المسيح عن الخمر. كما أضاف عبارة "يعطى لمغفرة الخطايا"بأكملها، إلى حديث المسيح عن الخبز، لكي يؤيد الاعتقاد السائد لديه، بأن التناول من العشاء الرباني يغفر الخطايا، وتبعاً لذلك يكون ذبيحة كفارية!!

(ب) أما الثمن الوحيد للغفران الذي أعلنه الكتاب المقدس، فهو كفارة المسيح، لأنها هي التي وفت جميع مطالب العدل الإلهي من جهة خطايانا. ونظراً لأن الله في محبته التي لا حد لها قدم لنا هذا الغفران، بما يترتب عليه من تبرير، هبة مجانية (رومية 3: 24)، فقد جعل السبيل الوحيد للتمتع به، هو الإيمان الحقيقي، لأنه هو الذي يهيئ النفس لقبول المسيح وخلاصه الثمين. فقد قال جميع الأنبياء عنه "إن كل من يؤمن به،

ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال 10: 43). كما قال المسيح عن الناس قاطبة "حتى ينالوا بالإيمان بي، غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين" (أعمال 26: 18)- أما جعل التناول من العشاء الرباني هو السبيل للحصول على الغفران، ففضلاً عن عدم وجود أساس له في الكتاب المقدس كما ذكرنا فإنه يحول السبيل إلى الغفران من عمل روحاني في النفس بواسطة التوبة والإيمان الحقيقي، إلى عمل جسماني بواسطة الأكل والشرب الماديين، الأمر الذي يتعارض مع مبادئ المسيحية جميعاً.

(ج) وبالإضافة إلى ما تقدم نقول:

(أولاً) إن الكتاب المقدس ينفي وجود أي قربان أو ذبيحة بعد كفارة المسيح، وذلك بسبب إيفائها لكل مطالب عدالة الله إلى الأبد كما ذكرنا. فقد قال: "وإنما حيث تكون مغفرة لهذه (الخطايا). لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عبرانيين 10: 18).

(ثانياً) إن الرسل لم يعينوا كهنة للقيام بالعشاء الرباني، كما أنهم لم يسندوا القيام به إلى القسوس[4]الذين عينوهم (حتى كان يجوز الظن أنه من الواجب أن يضعوه مثلاً بين أيديهم وينالوا منه راغبي الاشتراك فيه)، بل أسندوه إلى المؤمنين عامة كما يتضح من (1كورنثوس 11: 23) ولذلك فالعشاء الرباني لا يكون ذبيحة، وبالتبعية لا يستلزم لممارسته وجود كهنة بالمعنى الحرفي في العهد الجديد.

3- (إن المسيح قال لنا عن العشاء الرباني "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا 6: 53- 54)، ولذلك فإن هذا العشاء هو ذبيحة كفارية تتطلب وجود كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: (أ) إن السبيل إلى الحياة الأبدية الذي أعلنه الوحي في كل سفر من أسفاره بكل وضوح وجلاء، هو نفس السبيل إلى الغفران الذي ذكرناه فيما سلف، وهذا السبيل هو الإيمان الحقيقي بالمسيح. فقد قال له المجد "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3: 16). وقال "إن كل من يرى الابن (بقلبه) ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا6: 40). وبما أنه لا يمكن أن يكون هناك سبيلان مختلفان

للحصول على الحياة الأبدية الواحدة. أحدهما بواسطة الإيمان الحقيقي للمسيح. والثاني بواسطة الأكل من جسده والشرب من دمه بالفم. إذاً فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه الوارد في الحجة التي نحن بصددها، لا يراد به المعنى الحرفي بل الروحي. والمعنى الروحي له هو الإيمان الحقيقي بالمسيح (أو بالحري قبوله في النفس رباً ومخلصاً لأجل إحيائها، مثل قبول الطعام في الجوف للإبقاء على حياة الجسد). فقد قال المسيح بعبارة صريحة "من يقبل إلي (بقلبه)، فلا يجوع. ومن يؤمن بي (بقلبه) فلا يعطش أبداً" (يوحنا6: 35). كما ذكرنا.

ولا غرابة في ذلك، فالاختبار العملي، إلى جانب الآيات التي ذكرناها يدل على أن الحياة الأبدية هي فقط بواسطة الإيمان الحقيقي. لأننا نرى أشخاصاً يواظبون على التناول من العشاء الرباني في كل أسبوع وفي كل يوم، ومع ذلك يحيون حياة بعيدة عن الله كل البعد، مما يدل على أنه ليست لهم حياة أبدية. بينما نرى المؤمنين الحقيقيين في كل الطوائف المسيحية دون استثناء، يحيون باستمرار حياة التقوى والقداسة، حتى إذا حالت أحياناً بينهم وبين الاشتراك في هذا العشاء عقبات (مثل المرض والسفر)، الأمر الذي يدل على أنهم بإيمانهم الحقيقي، لهم هذه الحياة.

(ب)فضلاً عما تقدم نقول:

(أولاً) إن المسيح لم يكن يتحدث قبل الآيات الواردة في الحجة التي نحن بصددها (إذا جاز أن تسمى حجة)، عن التناول من العشاء الرباني، حتى كان يجوز الظن بأنها خاصة به، بل كان يتحدث عن الإيمان بشخصه. فقد قال قبلها "هذا هو عمل الله: أن تؤمنوا بالذي هو أرسله". كما قال "إن كل من يرى الابن (بقلبه) ويؤمن به، تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير". (يوحنا6: 29، 40) كما ذكرنا فيما سلف.

(ثانياً) إن المسيح نطق بهذه الآيات في أوائل خدمته بين الناس، بينما أقام العشاء الرباني قبيل صلبه بساعات، وليس من المقول أنه كان يتحدث مع الناس في أوائل خدمته عن موضوع، لم يكن قد أعلن لهم شيئاً عنه بعد لكن المعقول أنه كان يتحدث معهم وقتئذ عن وجوب الإيمان به، لأن هذا الموضوع هو الذي يتناسب مع أوائل خدمته بينهم.

(ثالثاً) إن معظم الذين وجه المسيح إليهم هذه الآيات، كانوا غير مؤمنين أو مؤمنين بالاسم (يوحنا 6: 30و 41و 42)، وأمثال هؤلاء لا

يتحدث المسيح معهم عن العشاء الرباني، بل عن الإيمان بشخصه- لأن ممارسة هذا العشاء خاصة بالمؤمنين الحقيقيين، إذ أن هؤلاء وحدهم هم الذين يقدرون عظمة كفارة المسيح ويعرفون فوائدها المتعددة- ولذلك لا جدال في أن الآيات المذكورة خاصة بالإيمان الحقيقي بشخصه، أو بالحري بقبوله رباً ومخلصاً في النفس لأجل إحيائها كما ذكرنا.

(ج) هذا وقد أدرك علماء المسيحيين منذ القرون الأولى أن حديث المسيح عن التغذي بجسده ودمه الوارد في (يوحنا 6)، يراد به المعنى المجازي أو بالحري الإيمان الحقيقي بشخصه، كما ذكرنا. فمن المأثور عن يوسابيوس أنه قال في شرحه للآية "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا6: 63) : "كأن المسيح يقول للتلاميذ، لا تظنوا إني أتكلم معكم عن الجسد الذي أنا حامله، كأن هذا يجب أن يؤكل. ولا تظنوا إني أقدم لكم دمي الطبيعي لكي تشربوه. لكن اعلموا أن الكلمات نفسها التي كلمتكم بها هي روح وحياة. حتى أن ذات كلامي (كأنه) لحم ودم، والذي يخصصه لنفسه كأنه يقتات بطعام سماوي، كما يكون شريكاً في الحياة السماوية ومن المأثور عن أوغسطينوس أنه قال: "إن حديث المسيح عن الأكل من جسده والشرب من دمه، لا يجوز فهمه حرفياً، لأن نعمته لا تقبل بالأسنان"ز وعن أثناسيوس أنه قال: "إن التناول من جسد المسيح ودمه لا يكون إلا روحياً [5]أي أن هذا التناول لا يكون بالفم مع الاعتقاد في النفس بأن الخبز والخمر هما ذات جسد المسيح ودمه (كما ذهب البعض)، بل يكون باستقبال النفس (وليس الفم) للمسيح، وذلك ليكون مخلصاً وحياة لها.

4- (إن المسيح قال "لأن جسدي مأكل حقيقي، ودمي مشرب حقيقي" (يوحنا6: 55)- وهذا دليل على أن خبز العشاء الرباني وخمره يتحولان إلى ذات جسد المسيح ودمه، ومن ثم يكون العشاء الرباني ذبيحة تتطلب كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: فضلاً عن أن حديث المسيح هذا ليس خاصاً بالعشاء الرباني، بل بالإيمان الحقيقي بشخصه كما ذكرنا فيما سلف، نقول: إن الحقيقي ليس عكس الروحي بل عكس الوهمي. لأن الروحيات حقائق. وإذا كان الأمر كذلك، فحديث المسيح الذي نحن بصدده، يجب أن يفهم بالمعنى الروحي لأن أكل جسد المسيح وشرب دمه بالمعنى المادي (إذا جاز حدوث ذلك) فضلاً عن أنه ليس له أساس في الكتاب المقدس- لأن

علاقتنا بالمسيح هي علاقة روحية لا مادية (2كورنثوس 5: 16)- فإن أكل الأول وشرب الثاني بالمعنى الحرفي، لا يعود علينا بفائدة روحية، إذ لا سبيل إلى هذه الفائدة إلا بقبول المسيح في النفس بواسطة الإيمان الحقيقي، كما يتضح من الوحي والاختبار معاً.

5- (قال المسيح "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك" (متى5: 23- 24)- فهذه الآية تدل على أن هناك قرباناً ومذبحاً في العهد الجديد. لأنه لا يمكن أن يكون القربان والمذبح هنا، هما القربان اليهودي والمذبح اليهودي، وذلك لسببين، (الأول) إن القربان اليهودي، والمذبح اليهودي انتهت مهمتهما بمجيء المسيح، وليس من المعقول أن يطلب المسيح منا أن نعمل عملاً انتهت المهمة الخاصة به. (الثاني) إن المسيح قال لليهود قبل هذه الآية "قد سمعتم أنه قيل للقدماء... وأما أنا فأقول لكم..."، أي أقول لكم أمراً جديداً لا علاقة له بالعهد القديم وذبائحه. وإذا كان الأمر كذلك، يكون القربان الوارد في هذه الآية هو العشاء الرباني. ويكون المذبح هو المذبح المسيحي، الذي يوضع عليه العشاء المذكور. وهذا دليل على وجود كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: فضلاً عن أن العشاء الرباني ليس ذبيحة كما ذكرنا، فإن كل القرائن تدل على أن المذبح والقربان المذكورين في هذه الآية، هما "المذبح اليهودي" و "القربان اليهودي"، وذلك للأسباب الآتية:

(أ) إن مجرد نظرة إلى هذه الآية (والآيات الموجودة قبلها وبعدها)، ترينا أن المسيح كان يتحدث مع اليهود عن عمل كانوا يمارسونه وقتئذ، وليس عن عمل كانوا عتيدين أن يمارسوه في المستقبل، إن كانوا سيؤمنون بشخصه. كما أن القربان اليهودي لم تنته مهمتهما بمجيء المسيح إلى الأرض، بل بتقديم نفسه على الصليب كفارة عن البشر. والدليل على ذلك أنه كان يوصي بتقديم القرابين والذبائح اليهودية في أثناء خدمته على الأرض. فمثلاً عندما شفى مرة رجلاً أبرص، قال له "اذهب. أر نفسك للكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم" (متى 8: 4)، مع أن هذا التصرف لا مجال له في العهد الجديد الذي نعيش فيه الآن.

(ب)إن المسيح عندما نطق بهذه الآية، لم يكن قد قدم العشاء الرباني لتلاميذه، أو أعلن لأحد الناس شيئاً عنه بعد، ولذلك لا يعقل إطلاقاً

أن يكون قد قدم الوصية الواردة بالآية المذكورة، عن هذا العشاء. لأن الوصية لا تكون عن أمر لا يعرف الناس عنه شيئاً. فإذا أضفنا إلى ذلك، أن المسيح لم يكن يخاطب وقتئذ أشخاصاً عينهم للقيام بالعشاء الرباني في المستقبل، بل كان يخاطب اليهود عامة، أدركنا أنه لا يراد بهذا القربان، إلا الذبائح الحيوانية التي كان هؤلاء يقدمونها لله في العهد القديم.

(ج)فضلاً عما تقدم، فإن كلمة "قدام" في قول المسيح: "فاترك قربانك قدام المذبح"، تدل على أن المراد بالمذبح هنا، هو المذبح اليهودي أيضاً. إذ أن هذا المذبح هو الذي كان من الجائز أن تترك الحيوانات قدامه، في حالة ذهاب مقدمها لمصالحة أخيه. أما العشاء الرباني عند المؤمنين بالاستحالة إذا ترك في مثل هذه الحالة، فلا يترك قدام مذبحهم بل عليه.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسيح قال قبل الآية الواردة في الحجة التي نحن بصددها "ومن قال لأخيه رقا (أو بالحري: تافه أو فارغ العقل) يكون مستوجب المجمع" (متى 5: 22). والمجمع الذي له سلطة الحكم على من قال لأخيه هذه الكلمة، لم يكن له وجود إلا في النظام اليهودي كما نعلم، اتضح لنا أن المذبح المذكور في هذه الآية هو المذبح اليهودي ولا شك. وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن قول المسيح لليهود "قد سمعتم أنه قيل للقدماء... وأما أنا فأقول لكم..."، لا يراد به إلا تصويب أفكار اليهود من جهة الطريقة التي كانوا يمارسون بها عبادتهم، وذلك بنقلها من الحالة الشكلية أو الآلية التي كانوا يمارسونها بها، إلى الحالة القلبية التي قصدها الله، حتى في العهد القديم.

(د)أخيراً نقول: إن علماء الأرثوذكس عرفوا منذ القرون الأولى أن المذبح والقربان في الآية التي نحن بصددها، يراد بهما المذبح اليهودي والقربان اليهودي، وأن المؤمنين في العهد الجديد لا يفيدون من النصيحة (أو الوصية) الخاصة بهما، إلا من الناحية الروحية وحدها، ولذلك قالوا "قربان الله هو الصلاة والشكر (وليس هو العشاء الرباني، أو ذبيحة مادية للتكفير عن الخطية). فإذا كان بينك وبين أخيك وجد [6]، أو لأخيك عليك طلب، فصلاتك لا تستجاب قدام الله، ولا يقبل شكرك" (الدسقولية ص 94).

37- أما وجه الشبه بين الخبز والخمر وبين جسد المسيح ودمه، فهو أن الخبز لم يصبح خبزاً إلا بعد أن اجتاز في النار، وأن الخمر لم يصبح خمراً إلا بعد أن انعصر العنب في المعصرة والمسيح له المجد لم يصبح كفارة إلا بعد أن اجتاز في نار دينونة عدالة الله وانعصر أو انسحق تحت تأثيرها (إشعياء 53: 5).

38- عن (أ) The Secrament of Eucharist P. 27. (ب) Adam Clarke's Commentary-Mathew, Ch., 26.

39- أما القول (المسيح قدم نفسه كفارة في العشاء الرباني بطريقة سرية، لأنه أبى أن ينتظر حتى يقدمه اليهود كفارة على الصليب بطريقة منظورة) فلا يجوز الأخذ به. إذ فضلاً عن أن المسيح لم يمت عندما قدم هذا العشاء لتلاميذه عوضاً عنا، فإن اليهود لم يقدموه للصليب ككفارة بل كمذنب. وكل ما في الأمر أن المسيح انتهز كراهيتهم له على الصليب، وأظهر لهم كل محبة وعطف، فكفر عنهم وعن غيرهم من الناس. فضلاً عن ذلك لو فرضنا جدلاً أنه قدم نفسه كفارة بطريقة ما عند تقديم العشاء المذكور، لما كان قد قدمها كفارة بعد ذلك على الصليب، لأن العبرة ليست بما نراه ونعلمه نحن، بل بما يراه ويعلمه هو.

40-هناك فرق كبير بين الكهنة وبين القسوس، كما يتضح في الباب التالي.

41- عن (أ) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم. (ب) ريحانة النفوس في أصل المعتقدات والطقوس. (ج) شرح كلمة Eucharist ومترادفاتها في دوائر المعارف الإنجليزية.

42- "الوجد"- بفتح الواو والجيم هو "الحزن".

الحجج التي يقال بورودها في الرسائل، والرد عليها

1- (قال الرسول: "إذاً أي من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه" (1كورنثوس 11: 27)- فهذه الآية تدل على أن العشاء الرباني يتحول إلى ذات جسد المسيح ودمه، لأنه ليس من المعقول إطلاقاً أن يعطينا المسيح خبزاً عادياً وخمراً عادية، ثم يعتبر الذين يتناولون منهما بدون استحقاق مجرمين في

جسده ودمه. ولذلك فإن هذا العشاء هو ذبيحة يتطلب كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: نظراً لأن العشاء الرباني هو تذكار لموت المسيح على الصليب كما يتضح من (لوقا 22: 19)، فإن الاستهانة به تعتبر إهانة للمسيح نفسه. ولا غرابة في ذلك، فكلنا يعلم أن احتقار صورة إنسان أو تذكاره، هو في الواقع إهانة لشخصه. والكتاب المقدس يعلن هذه الحقيقة بكل جلاء. فهو ينبئنا أنه عندما مد أحد اليهود يده إلى تابوت الله، مات في الحال (2صموئيل 6: 6- 7)، لأن هذا التابوت كما يتضح من الكتاب المقدس كان رمزاً إلى المسيح "الذي لم يكن لأحد أن يلمسه أو يدنو منه، قبل التجسد، وذلك لوجوده وقتئذ في حالة اللاهوت المطلق. والقائلون بالاستحالة يعرفون هذه الحقيقة كل المعرفة، فقد قالوا "أما التابوت فكان كشخص الله" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 564)، مع أن التابوت لم يخرج عن كونه صندوقاً ليست له في ذاته قيمة، غير قيمته المادية.

2- قال الرسول: "كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد" (1كورنثوس 10: 15- 16). فتسمية الكأس، بكأس البركة، تدل على أن فيها بركة، أو بالحري تدل على أن الخمر التي فيها هي دم المسيح، مصدر كل بركة. كما أن القول عن الاشتراك في العشاء الرباني إنه اشتراك في جسد المسيح ودمه، يدل على أنه يتحول إليهما، ومن ثم فإنه ذبيحة يتطلب كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: (أ)إن العبارة كأس البركة التي نباركها" معناها: "كأس الشكر التي نشكر الله لأجلها، أو بالحري لأجل ما تدل عليه من معنى"، لأن المسيح شكر عندما أعطاها لتلاميذه، ونشكر نحن أسوة به عندما نتناولها. وقد أشار إلى ذلك الأستاذ أترميلاس أحد علماء الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية فقال في تفسيره للكتاب المقدس (ج 1 ص 218): "نباركها"، أي نقدسها (أو بالحري نخصصها) بصلاة الشكر [1]. ومما يثبت ذلك الأدلة الآتية (أولاً) أننا مهما بلغنا أسمى درجات التقوى، لا نستطيع أن نودع في كأس العشاء الرباني بركة ما (ثانياً) أن لوقا البشير وبولس الرسول عند تسجيلهما حديث المسيح عن خبز العشاء الرباني وخمره، لم يذكرا مطلقاً أنه بارك، بل ذكر أنه شكر فقط (لوقا 22: 19-

20) و (1كورنثوس 11: 24و 25). وأن متى ومرقس البشيرين وإن كانا قد ذكرا أن المسيح بارك عندما أعطى الخبز لتلاميذه، غير أنهما ذكرا أنه شكر فقط عندما أعطاهم الكأس (متى 26: 26، مرقس 14: 22). وليس من المعقول إطلاقاً، أن تكون البركة قد حلت وقتئذ في الخبز دون الكأس. وإذا كان الأمر كذلك أدركنا أن السبب في استعمال الشكر بدلاً من المباركة في هذا المقام، يرجع إلى أنهما يأتيان بمعنى واحد. فقول النبي "باركي يا نفسي الرب" (مزمور 103: 1) معناه "اشكريه". (ثالثاً) إن البركة لا تحل في المادة ثم تنتقل منها إلى نفس من يستعملها، بل إنها تنتقل مباشرة من الله إلى النفس المؤمنة به والمتفتحة له. (رابعاً) وبالإضافة إلى كل ما تقدم، فالكأس التي كان يتناولها اليهود في عيد الفصح قبل المسيح بمئات السنين، كانت تدعى "هاربراكا" وترجمتها الحرفية "كأس البركة"، والحال أنه لا يراد بها إلا "كأس الشكر" لأنه لم تكن فيها بركة تقدس النفس وتطهرها، وتغفر لها خطاياها وآثامها، كما نعلم جميعاً.

(ب)أما من جهة قول الوحي عن الاشتراك في العشاء الرباني إنه اشتراك في جسد المسيح ودمه، فنقول: إن الاشتراك يكون بمعنى مادي، كما يكون بمعنى روحي، والقرينة هي التي تحدد المعنى المقصود. ولما كانت علاقتنا بالمسيح هي علاقة روحية لا مادية (2كورنثوس 5: 16)، وتغذيتنا به تبعاً لذلك هي تغذية روحية لا مادية، إذاً فالاشتراك في جسده ودمه يراد به الاشتراك فيهما بالمعنى الروحي، أو بالحري الاشتراك في الفوائد التي ترتبت على بذلهما نيابة عنا- وهذه الفوائد هي الغفران والتبرير والتطهير والتقديس والبنوة لله والاتحاد بالمسيح، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب (قضية الغفران في المسيحية).

(ج)ومما يثبت أيضاً أن الآيات التي نحن بصددها لا تدل على أن العشاء الرباني يتحول إلى جسد المسيح ودمه، أن الرسول أعلن مرتين فيها أن ما نكسره ونتناوله هو خبز (فحسب). وغني عن البيان أنه لو كان خبز العشاء الرباني يتحول إلى جسد المسيح، لما دعاه الوحي خبزاً على الإطلاق، وذلك لكي لا يتسرب الشك إلى أحد من جهة الاستحالة، إن كانت تحدث استحالة. ومن ثم فإن العشاء الرباني لا يكون ذبيحة كما يقال.

أما القول (إن الرسول أطلق على خبز العشاء الرباني بعد الشكر اسم الخبز باعتبار ما كان عليه من قبل. كما قال الوحي عن لعازر عندما

أقامه المسيح من القبر "فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطتان"، مع أنه لم يكن وقتئذ ميتاً بل حياً)، فلا يجوز الأخذ به، لأن قول الوحي عن لعازر "فخرج الميت"، لا يمكن أن يفهم منه إنسان عاقل أنه عندما خرج لعازر من القبر كان ميتاً. ومع كل فالجوهر أفضل من العرض، وما آل إليه الشيء أحق بالذكر مما كان عليه من قبل. ومن ثم فقول الوحي عن خبز العشاء الرباني، بعد قيام المسيح بالشكر، إنه خبز فقط، دليل على أنه كان خبزاً كما كان من قبل، دون أن يطرأ عليه تغيير يصبح به شيئاً غير الخبز.

أخيراً نقول إن الرسول لم يستعمل في الآيات التي نحن بصددها، اللغة المجازية عند حديثه عن العشاء الرباني فحسب، بل وأيضاً عند حديثه عنا نحن المؤمنين. فقد قال في هذه الآيات إننا خبز واحد، جسد واحد"، مع أننا لسنا كذلك بالمعنى الحرفي. إذ كل ما في الأمر أننا نشبه الرغيف الواحد أو الجسد الواحد، من حيث وحدتنا الروحية كمؤمنين في المسيح، الأمر الذي لا يدع مجالاً للاعتراض على فهم حديث الرسول عن العشاء الرباني بالمعنى الروحي أو المجازي كما ذكرنا.

3- (قال بولس الرسول عن نفسه: "كتبت إليكم جزئياً أيها الأخوة كمذكر لكم، بسبب النعمة التي وهبت لي من الله. حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس" (رومية 15: 16)- فهذه الآية تنص على وجود قربان في العهد الجديد، وهذا القربان لا يكون شيئاً سوى العشاء الرباني، ومن ثم فإنه ذبيحة تتطلب وجود كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: (أ) فضلاً عن أن العشاء الرباني ليس قرباناً أو ذبيحة كما ذكرنا فيما سلف، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة، نقول: إذا تأملنا الآية المعروضة أمامنا سواء في ذاتها أو مع غيرها من الآيات الواردة قبلها وبعدها، يتضح لنا أن المراد بهذا لقربان لا يمكن أن يكون شيئاً سوى الأمم أنفسهم، أو بالحري المؤمنين الحقيقيين من هذه الأمم، وذلك للسببين الآتيين:

(الأول) إن الروح القدس المذكور في هذه الآية أنه يقدس القربان، لا يحل في المادة مثل الخبز والخمر، بل يحل في المؤمنين أنفسهم، وذلك لكي يقدسهم ويطهرهم كما يتضح من (يوحنا 14: 16، 1كورنثوس3: 16).

(الثاني) إن تشبيه المؤمنين بالقربان أو الذبيحة هو من التعبيرات التي كان هذا الرسول يستعملها كثيراً، فقد قال مرة من قبل للذين كتب لهم هذه الآية: "أطلب إليكم يا إخوتي برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة.." (رومية 12: 1). ووجه الشبه بين المؤمنين وبين القربان (أو الذبيحة) هو أن كليهما مخصص لإكرام الله وتمجيده. وقد شهد أوغسطينوس بهذه الحقيقة فقال: "جميع القديسين هم الذبيحة العامة التي تقدم لله لواسطة المسيح رئيس الكهنة". كما قال "الذبيحة الحقيقية تقوم بأن النفس وهي مضطرمة بنار المحبة السماوية، تكرس ذاتها لله تكريساً كاملاً". (ريحانة النفوس ص 100).

(ب) فضلاً عن ذلك، فإن الترجمة الحرفية لكلمة "قربان الأمم" حسب الأصل اليوناني، هي "تقريب الأمم على الله كقربان[2]".ولذلك إذا رجعنا إلى التراجم التي يميل أصحابها إلى الترجمة المعنوية دون الحرفية، نرى أنهم ذكروا صراحة أن هذا القربان هو الأمم أنفسهم [3]. وإذا كان الأمر كذلك أدركنا أن قول الرسول "قربان الأمم" أو "ذبيحة الأمم" في هذه الآية، يشبه كل الشبه قوله "ذبيحة الإيمان" في الآية "انسكب[4]" "أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته" (فيلبي 2: 17)، إذ كما أنه لا يقصد بهذه الآية، أن الإيمان يقدم ذبيحة، بل أنه هو نفسه "الذبيحة" التي كان الرسول يبذل كل ما لديه من جهد في خدمتها، كذلك لا يقصد بالآية السابقة لها أن الأمم يقدمون قرباناً أو ذبيحة، بل أنهم (أو بالحري المؤمنين الحقيقيين منهم) هم أنفسهم قربان أو ذبيحة لله، بالمعنى الروحي كما ذكرنا.

(ج)أخيراً نقول: إن المسيحيين القائلين بالكهنوت الحرفي في الوقت الحاضر، يعتقدون أن العشاء الرباني مقبول في ذاته أمام الله، حتى إذا كان الكهنة الذين يقومون به لديهم أشراراً [5]. ولذلك لا يجوز لهم أيضاً أن يتخذوا هذه الآية، دليلاً على أن القربان الوارد بها هو العشاء الرباني، وإلا فإنهم يناقضون أنفسهم بأنفسهم. لأن الرسول يؤسس قبول هذا القربان على استماتته الشخصية في خدمة القديسين[6].

4- (قال الرسول عن المسيح "وهو أعطى البعض أن يكونوا وسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض الآخر رعاة ومعلمين، لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح... كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس بمكر إلى

مكيدة الضلال" (أفسس4: 11- 14)- فالخدمة هنا يراد بها خدمة العشاء الرباني، أو بالحري الصلاة الخاصة به. ومن ثم يكون هذا العشاء ذبيحة تتطلب كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: (أ) فضلاً عن أن العشاء الرباني ليس ذبيحة كما ذكرنا فيما سلف، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة، فإن المسيحيين الذين يعتقدون أنه ذبيحة، يسندون القيام به إلى الأساقفة والقسوس والشمامسة والمرتلين لديهم بينما القيام بالخدمة الواردة في الآيات التي أمامنا مسندة إلى الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين. لذلك لا يجوز لهؤلاء المسيحيين أو لغيرهم، أن يستنتجوا أن الخدمة في هذه الآيات، يراد بها الصلاة الخاصة بالعشاء الرباني.

(ب) ومما يثبت ذلك، أن الكلمة اليونانية لكلمة (الخدمة) في هذه الآيات، ليست "ليتورجيا" التي تعني "خدمة العبادة" أياً كان نوع هذه العبادة، كما هي الحال في الآية الواردة في (لوقا 1: 23)، بل أن هذه الكلمة هي "دياكونيا" أي "خدمة" بالمعنى العادي المعروف لدينا، وهو القيام بمساعدة ما، لأجل فائدة الآخرين وخيرهم. وقد استعملت في الكتاب المقدس بهذا المعنى للتعبير عن "خدمة الفقراء" أو بالحري "تقديم المساعدات المادية لهم"، مثلما جاء في (أعمال6: 1، 2كورنثوس 9: 1) كما استعملت للتعبير عن "خدمة إنجيل الله" أو بالحري "العمل على إذاعته بين الناس لكي يتمتعوا بفوائده"، مثلما جاء في (أعمال 6: 4، 2كورنثوس 4: 1). ولذلك فإن كلمة "الخدمة" الواردة في الآيات التي نحن بصددها، يراد بها المعنى الثاني. لاسيما وأنها مسندة إلى الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين، الذين ينحصر عملهم في خدمة الإنجيل (أعمال6: 2).

(ج) كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن الوحي لا يسجل لنا أن الغرض من الخدمة في هذه الآيات، هو تحويل العشاء الرباني إلى ذات جسد المسيح ودمه، كما يعتقد القائلون بالكهنوت الحرفي، أو غرضاً من الأغراض الخاصة بممارسة هذا العشاء الواردة في الكتاب المقدس[7]، بل أنه (مع الغرض من تكميل القديسين وبنيان جسد المسيح، الذي هو المؤمنون الحقيقيون (أفسس4: 12))، هو لكيلا يكون هؤلاء المؤمنون مضطربين ومحولين بكل ريح تعليم، بل ثابتين في الإيمان وراسخين فيه، اتضح لنا

بدليل ليس بعده دليل، أن المراد بالخدمة المذكورة هنا، هو خدمة إنجيل الله كما ذكرنا، لأن هذا الغرض خاص بها وحدها.

5- (قال الرسول: "يسوع المسيح هو أمساً واليوم وإلى الأبد. لا تساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة، لأنه حسن أن يثبت القلب بالنعمة، لا بأطعمة لم ينتفع بها الذين تعاطوها. لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه. فإن الحيوانات التي يدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة، تحرق أجسامها خارج المحلة. لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب" (عبرانيين 13: 9-13)- فهذه الآيات تدل على أن العهد الجديد مذبحاً. وبما أن هناك مذبحاً في هذا العهد، يجب أن تكون هناك أيضاً ذبيحة كفارية فيه. وهذه الذبيحة لا تكون شيئاً سوى العشاء الرباني، ومن ثم يجب أن يكون هناك كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد:فضلاً عن أن العشاء الرباني طعام يؤخذ بالفم، بينما الآيات التي نحن بصددها تنص على أنه حسن للقلب أن يثبت بالنعمة لا بأطعمة (أياً كانت هذه الأطعمة)، الأمر الذي يدل على أن المراد بالأكل هنا، المعنى الروحي وبالتبعية يدل على أن العشاء الرباني لا علاقة له بالمذبح، المعلن في هذه الآيات أن لنا الحق في الأكل منه، نقول:

(أ) إن المسيح، عندما عمل العشاء الرباني، لم يشيد مذبحاً أو لبس لباساً كهنوتياً أو حمل مبخرة، أو أوقد سراجاً.. أو... أو... (كما كان متبعاً عند تقديم الذبائح الكفارية في العهد القديم)، فضلاً عن ذلك لم يقل لتلاميذه أن يصنعوا هذا العشاء لمغفرة خطاياهم (الذي هو الغرض الأساسي من هذه الذبيحة)، ولذلك لا يمكن أن يكون المراد بالمذبح هنا، مذبحاً بالمعنى الحرفي.

(ب)لكن بدراسة الآيات المذكورة مع ما قبلها وما بعدها من آيات، نرى أن المراد بهذا المذبح، هو المسيح نفسه. وقد أشير إليه بالمذبح، بعد ما أشير إليه بالذبيحة والقربان في الآيات الواردة في (عبرانيين 9: 26، 10: 12)، للأسباب الآتية:

(أولاً)-إن المذبح مثال عام للمسيح، بينما الذبيحة مثال خاص له، إذا أنه (أي المذبح) يكون قائماً قبل تقديم الذبيحة، كما يظل أيضاً قائماً بعد تقديمها، معلناً دواماً عن وجودها وأهميتها.

(ثانياً)-إن المذبح يتضمن في معناه الروحي مجال تقابل الله مع الناس على أساس الفداء (ملاخي 2: 12)، الأمر الذي يتفرد به المسيح دون سواه وذلك بوصفه الوسيط الوحيد بين الله والناس (1تيموثاوس 2: 5).

(ثالثاً)-إن هذه الآيات تعلن أننا، نحن المسيحيين، لنا أن نأكل من هذا المذبح، والذي لنا أن نأكل منه، ليس المواد التي يصنع منها المذبح (على فرض أننا نأكل منه) بل المسيح نفسه، وذلك بطريقة روحية كما ذكرنا.

(رابعاً)-إن المذبح بصفة عامة، أعظم من الذبيحة، لأنه هو الذي يقدسها (متى 23: 19). وبما أنه ليس هناك من قدس ذبيحة المسيح سواه، لأنه ليس هناك من هو أعظم منه، يمكن أن يقوم بهذه المهمة، لذلك فالمسيح كما أنه الذبيحة، هو المذبح أيضاً- ولا غرابة في ذلك، فالمسيح كان يرمز إليه بالكثير من أدوات خيمة الاجتماع وأجزائها مثل الباب (يوحنا 10: 9). والخبز (يوحنا 6: 35). والنور أو المنارة (يوحنا8: 12). كما أن جسده كان يرمز إليه بالحجاب (خروج 26: 31، عبرانيين10: 20)، كما ذكرنا فيما سلف.

(ج)-أخيراً نقول إن الوحي يقدم لنا المسيح في هذه الآيات مرموزاً إليه بذبائح الخطية، التي كانت تحرق أجسادها بكل ما احتوت خارج المحلة، ولم يكن للكاهن الذي عملها أو الخاطئ الذي قدمها أن يأكلا شيئاً منها. ومن ثم كانت الفائدة التي تجنى منها في العهد القديم هي فائدة معنوية فحسب. وإذا كان الأمر كذلك، فلو فرضنا جدلاً أن العشاء الرباني يتحول إلى جسد المسيح ودمه، لكان ذبيحة خطية، ومن ثم كان من الواجب حرقه، أو على الأقل عدم الأكل منه. لكن المسيح لم يأمرنا بحرقه أو نهانا عن الأكل منه، بل بالعكس أوصانا بالأكل من خبزه والشرب من كأسه، لذلك لا يكون ذبيحة كفارية، بل تذكاراً لموته له المجد، كما قال بنفسه.

(د)أما عن الدعوى (بأن المسيح كان ذبيحة خطية، ومع ذلك لم يحرق مثلها. ومن ثم لا داعي لحرق العشاء الرباني)، فنقول: إن الآلام الجهنمية التي اجتاز المسيح فيها على الصليب عوضاً عنا، والمشار إلى آلامها في (مزمور 22 ومزمور 69 وإشعياء 53) كانت أقسى من النار المادية بما لا يقاس، إذ أن هذه النار لم تكن إلا رمزاً ضئيلاً للآلام

المذكورة. أما العشاء الرباني فلأنه لا يحرق ولا تقع عليه آلام ما، لذلك لا يكون ذبيحة خطية كما ذكرنا، وتبعاً لذلك لا يتطلب كهنة بالمعنى الحرفي.

43- هذا مع العلم بأن كلمة "بارك" ترد بمعنى "مدح" أو "اعتزب"، ومن ثم فإن العبارة "الكأس التي نباركها" قد تعني "الكأس التي نعتز بها" لدلالتها على فداء المسيح لنا بدمه الكريم. ولا غرابة في ذلك، فنحن نقول "بارك الشعب المشروع الفلاني" بمعنى "مدحه" "واعتز به" أو "نادى بأهميته".

44- ولذلك لم ترد التراجم الإنجليزية مثلاً The offering of the gentiles

بل: The offering up of the gentiles.

45- انظر مثلاً نسختيّ:

(أ) New World Translation of the Greek Scriptures

(ب) A Translation from the Latin Vulgate in the light of the Hebrew and Greek Originals.

46- كلمة "انسكب" لا يراد بها هنا المعنى الحرفي بل المجازي، والمعنى المجازي لها هو بذل كل ما في النفس من جهة في خدمة المؤمنين الحقيقيين.

47- بحثنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "العشاء الرباني"، فليرجع إليه القارئ إذا أراد.

48- مما تجدر الإشارة إليه أن الرسول كان يبذل كل ما في وسعه لكي يكون الأمم مقبولين لدى الله، ليس من جهة مقامهم أمامه، بل من جهة سلوكهم الشخصي في العالم. لأنهم من جهة مقامهم، هم مملوؤون (أو بالحري كاملون) أمام الله، بسبب وجودهم الروحي في المسيح (كولوسي2: 10).

49- وهذه الأغراض هي: تذكر موت المسيح والتخبير به وانتظار مجيئه (1كورنثوس11: 26) وإعلان الشركة الروحية في فوائد كفارته والاعتراف بوحدة المؤمنين في شخصه المبارك (1كورنثوس10: 17)

الباب الثاني: الحجج القائلة بوجوب كهنة بالمعنى الحرفي في العصر المسيحي يكونون خلفاء للمسيح في كهنوته، الرد عليها.

الحجج التي يقال بورودها في العهد الجديد، والرد عليها

1- (إن حرف الكاف، في كلمة "ككاهن" الواردة في قول الرسول عن نفسه "مباشراً لإنجيل الله ككاهن" (رومية 15: 16)، ليس له وجود في النسخة اليونانية التي هي النسخة الأصلية للكتاب المقدس. ولذلك فإن الرسول المذكور لم يكن ككاهن، بل كان كاهناً_ وهذا دليل على وجود كهنة بالمعنى الحرفي في العهد الجديد).

الرد: (أ)-إذ قابلنا بين النسخة اليونانية للكتاب المقدس، وبين أي ترجمة لها، يتضح لنا أن بعض المترجمين اضطروا إلى استعمال الحرف المذكور، لكي يوضحوا المعنى الوارد في الأصل اليوناني. لأن الكلمة اليونانية المترجمة إلى العربية "ككاهن"، ليست هي "هيروس"، أي "كاهن" بالمعنى الحرفي (كما هي الحال في الآية "اذهب أر نفسك للكاهن" الواردة في (متى 8: 4)، وغيرها من الآيات مثل (متى 12: 4، مرقس1: 44، لوقا1: 5، أعمال 14: 13، عبرانيين 7: 17، 10: 21)، بل إنها "هيرورجو"- وهذه الكلمة لا يراد بها "كاهن بالمعنى الحرفي"، بل "الشخص الذي له امتياز الخدمة لله" [1]، كما كان يفعل الكاهن في هيكل الله في العهد القديم[2].

(ب)-ولذلك قال الكاثوليك في ترجمتهم العربية لهذه الآية "وأباشر خدمة إنجيل الله الكهنوتية". ووصف خدمة الإنجيل بأنها كهنوتية، لا يدل على أن الشخص القائم بها كاهن (بالمعنى الحرفي) يناط به تقديم ذبيحة كفارية لله، بل يدل على أن هذا الشخص يؤدي الخدمة المذكورة لله بكل تقوى وقداسة، كما كان يفعل الكاهن في العهد القديم، وبالنسبة إلى الذبائح، لأن المناداة بالإنجيل هي خدمة روحية محض. وقالوا هم أنفسهم في ترجمتهم الإنجليزية (مثلاً) للآية المذكورة ما تعريبه "حتى أخدم إنجيل الله بقداسة"، الأمر الذي يثبت أنهم لم يفهموا من هذه الآية أنها تدل على وجود كهنوت بالمعنى الحرفي. كما أننا إذا رجعنا إلى النسخ الإنجليزية الأخرى، نرى أنها قد ترجمت الآية المذكورة بما تعريبه، حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، أخدم إنجيل الله خدمة مقدسة" أو "مجاهداً في الخدمة المقدسة الخاصة بإنجيل الله [3]". وهذه الترجمات مع اختلاف ألفاظها، لها معنى واحد، وهو: أن الرسول لم يكن كاهناً بالمعنى الحرفي يقوم بتقديم ذبيحة كفارية عن الناس، بل كان يخدم الإنجيل بينهم بقداسة وورع، كما كان يفعل الكاهن عند تقديم الذبائح في هيكل الله في العهد القديم، كما ذكرنا. ولذلك فالقول إن الرسول كان يخدم

الإنجيل "ككاهن"، أو "بقداسة" أو "إن خدمة الإنجيل هي خدمة كهنوتية"- كل ذلك يتفق في المعنى مع الأصل اليوناني كل الاتفاق.

هذا مع العلم بأن بولس الرسول بوصفه مؤمناً حقيقياً كان كاهناً حقيقياً بالمعنى الروحي، مثل غيره من المؤمنين الحقيقيين.

2- (بما أن المسيح كاهن إلى الأبد (عبرانيين 5: 6). وبما أن دوام الكهنوت يتطلب دوام تقديم الذبائح، لذلك من الواجب أن تكون للمسيح ذبيحة يقدمها باستمرار، لئلا يتعطل كهنوته. فمكتوب "لأن كل رئيس كهنة يقام لكي يقدم قرابين. فمن ثم يلزم لهذا (أي المسيح) أيضاً شيء يقدمه" (عبرانيين8: 3). وإذا كان الأمر كذلك، يكون العشاء الرباني هو ذبيحة الصليب نفسها، ويكون المسيح هو الذي يقدمه لله على أيدي خدامه في العهد الجديد، ومن ثم يكونون كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: فضلاً عن أنه لا يجوز القول إن العشاء الرباني هو ذبيحة أو ذبيحة غير دموية، وفضلاً عن أنه ليس هناك مجال لأي قربان أو ذبيحة بعد كفارة المسيح، كما ذكرنا فيما سلف، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة نقول:

(أ)-إن المسيح قدم على الصليب الذبيحة الكفارية اللازمة، بناء على الآية الواردة في (عبرانيين 8: 3). لكن هذه الذبيحة تختلف كل الاختلاف عن ذبائح الكهنة ورؤساء الكهنة في العهد القديم، لأن ذبائحهم كانت ذبائح حيوانية ليست في ذاتها بكافية للتكفير عن الخطية. أما ذبيحة المسيح فكانت نفسه التي هي أغلى من نفوس كل البشر بما لا يقاس، ولذلك استطاع له المجد أن يكفر بها عنهم جميعاً- ليس تكفيراً رمزياً وقتياً كالتكفير الذي يحصل عليه الكهنة ورؤساء الكهنة في العهد القديم لجماعتهم، ومن ثم كانوا يقدمون الذبائح مراراً كثيرة (عبرانيين 10: 11)- بل تكفيراً فعلياً أبدياً لكل الناس، فمكتوب عن المسيح "وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس (السماوية) فوجد فداء أبدياً" (عبرانيين 9: 12)، ومن ثم لا يكون هناك مجال لأي ذبيحة فيما بعد، أو لتقديم ذبيحة المسيح الكفارية نفسها من وقت لآخر، تحت أي شكل من الأشكال بواسطته أو بواسطة غيره، كما يقول أصحاب هذه الحجة.

(ب)-ومما يدل أيضاً على أن ذبيحة المسيح لها كفاية لا نهائية لكل البشر في كل العصور والأجيال، أن الوحي سجل عن المسيح أنه "بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا (جميعاً)، جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عبرانيين1: 3) وجلوس المسيح يراد به استراحته تماماً من كل الأعمال الخاصة بالتكفير عن الخطية. أما لو كان له المجد يقدم ذبيحة نفسه من وقت لآخر للتكفير عن الخطيئة، تحت هيئة العشاء الرباني أو هيئة غيرها (وإن كان عمل مثل هذا لا يجوز بأي حال من الأحوال كما ذكرنا) لما كان قد جلس. ولكان مثله في ذلك مثل الكهنة قديماً، فإنهم لعدم كفاية ذبائحهم للتكفير عن الخطية، لم يكن لواحد منهم أن يجلس في أقداس الله. ولما كانت أيضاً المرة الواحدة التي قدم نفسه فيها على الصليب بكافية للتكفير عن البشر إلى الأبد. وتبعاً لذلك لكان مثله (والعياذ بالله) مثل الذبائح الحيوانية تماماً. ومن ثم فالحجة التي أمامنا لا نصيب لها من الصواب على الإطلاق.

3- (بما أن المسيح رئيس كهنة كما جاء في (عبرانيين 7: 26). والرئيس له مرؤوسون يشاركونه في خدمته (كما كانت الحال مع هرون رئيس الكهنة في العهد القديم)، إذاً لا بد أن يكون للمسيح كهنة بالمعنى الحرفي رئاسته).

الرد: (أ)-وإن كان المسيح بموته على الصليب، قام فعلاً مرة واحدة وإلى الأبد (بما كان يقوم به هرون ورؤساء الكهنة بعده رمزياً مراراً كثيرة في العهد القديم)، من حيث تقديم دم نفسه إلى الله في أقداسه السماوية نيابة عنا غير أنه بعدما قام من الأموات وجلس في السموات ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا (عبرانيين9: 24)، صار كاهناً أو رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق [4]لكي يقوم له المجد بخدمته الكهنوتية طوال وجودنا على الأرض [5]- وملكي صادق هذا كان وحيداً فريداً في خدمته الكهنوتية فلم يكن له خلف أو سلف فيها (عبرانيين 7: 3). ومن ثم لا يكون للمسيح في الوقت الحاضر مرؤوسون له يشاركونه في خدمته المذكورة أو يخلفونه فيها، لاسيما أن الذين يتصدون للقيام بهذا العمل يجب أن يشاركوه أولاً في تقديم أنفسهم للموت كفارة عن غيرهم كما فعل، الأمر الذي لا يمكن لأحدهم أن يعمله بأي حال من الأحوال.

(ب)-فضلاً عن ذلك، فإن الله كان قد أقام أبناء هرون كهنة، لأسباب ثلاثة:

(الأول)-عدم استطاعة هرون القيام بمفرده بكل الأعمال الكهنوتية اللازمة للشعب.

(الثاني)-إنه كان معرضاً للنجاسة التي كانت تمنعه من ممارسة هذه الأعمال في بعض الأوقات.

(الثالث)-إنه كان معرضاً كذلك للمرض والموت اللذين يؤديان إلى تأجيل الأعمال المذكورة أو توقفها نهائياً- ولذلك لو فرضنا جدلاً أن المسيح هو الآن على رتبة هرون الذي كان له خلفاء في كهنوته، لما كانت هناك أيضاً حاجة إلى خلفاء أو شركاء له في خدمته الكهنوتية، إذ بالإضافة إلى أنه يستطيع القيام بكل أعباء هذه الخدمة بمفرده لكل الناس في كل العصور، فهو له المجد لا يتعرض للنجاسة أو الضعف أو المرض على الإطلاق. كما أنه بعدما مات مرة كفارة عن خطايانا بإرادته الشخصية، لا يمكن أن يسود عليه الموت فيما بعد، بأي شكل من الأشكال (رومية6: 9).

(ج)-كما أننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن المسيح، وإن كان قد أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين (أفسس4: 11- 12). وأن الرسل، وإن كانوا قد أقاموا في كل كنيسة أساقفة (أو قسوساً [6]) وشمامسة، لكن لا المسيح أقام فئة خاصة تدعى كهنة، ولا الرسل أقاموا هذه الفئة من بعده. كما أننا إذا فحصنا الأعمال التي أقيم الأساقفة أو القسوس لتأديتها، والواردة في (أعمال 20: 18و 31، تيطس 1: 7- 9، 1بطرس 5: 2)، لا نرى من بينها عملاً كانوا يتفردون بالقيام به يدعى "تقديم العشاء الرباني لله" أو حتى "تقديمه للناس"، الأمر الذي يبطل القول بأن العشاء الرباني هو ذبيحة لمغفرة الخطايا، وأنه يتطلب وجود كهنة بالمعنى الحرفي.

(د)-أخيراً نقول إنه بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن ربنا يسوع المسيح هو رئيس كهنة، ليس لأن له كهنة بالمعنى الحرفي يتولى الرياسة عليهم، بل لأنه قام ويقوم بمفرده بعمل رئيس الكهنة. وإن كان له كهنة في العهد الجديد، فهؤلاء الكهنة هم المؤمنون الحقيقيون جميعاً، لأنهم يقومون بخدماتهم الكهنوتية الروحية (1بطرس2: 5) تحت رياسته

وإرشاده، كما ذكرنا فيما سلف. فهو المثل الأعلى الذي يقتدون به في صفات الطهارة والقداسة والمحبة والعطف والتضحية وإنكار الذات، التي هي العناصر الأساسية لهذه الخدمات. ومن ثم ليس هناك مجال للظن بأنه من الواجب أن يكون هناك كهنة بالمعنى الحرفي في العهد الجديد[7].

4- (إن الرسل أقاموا قسوساً وأساقفة، والقسوس والأساقفة هم كهنة بالمعنى الحرفي).

الرد: فضلاً عن أن الكهنة بالمعنى الحرفي هم الذين يقامون لتقديم ذبائح كفارية لله، وهذه الذبائح لا مجال لها في العهد الجديد، لأن كفارة المسيح التي قدمها مرة على الصليب وفت كل مطالب عدالة الله من جهتنا جميعاً إلى الأبد كما ذكرنا، الأمر الذي لا يدع مجالاً بعد لوجود كهنة بهذا المعنى، نقول: إننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس نرى:

(أ)-إن كلمة "أسقف" معربة من الكلمة اليونانية "أبسكوبوس"، ومعناها "ناظر" أو "مشرف". وكلمة "قسيس" معربة عن الكلمة اليونانية السريانية "قشيشو"، ومعناها شيخ أو شخص متقدم في السن كما ذكرنا فيما سلف. وهاتان الكلمتان لا علاقة لهما بالكهنوت على الإطلاق.

(ب)-إن القسيس هو الأسقف بعينه. وكل ما في الأمر أنه يسمى بالاسم الأول من جهة السن، وبالاسم الثاني من جهة الخدمة التي يقوم بها وهي النظارة أو الرعاية. فقد قال الوحي عن الرسول بولس إنه من ميليتس استدعى قسوس الكنيسة. فلما جاءوا إليه، قال لهم: احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة" (أعمال 20: 17و 28). وقال بولس لتيطس "... وتقيم في كل مدينة شيوخاً (أي قسوساً) كما أوصيتك- لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله" (تيطس1: 5و 7).

(ج)-كما أننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن الخدمات التي أقيم القسوس أو الأساقفة لتأديتها، تنحصر في التعليم والوعظ وتوبيخ المناقضين (تيطس 1: 7- 9)، ورعاية المؤمنين (1بطرس 5: 1- 2)، الأمر الذي لا يدع مجالاً للقول بأنهم كهنة بالمعنى الحرفي.

50-اقرأ مثلاً (أ) Greek-English Lexicon, PP. 293-300.
(ب) Exhaustive Analytical Concordance

51- مما تجدر الإشارة إليه أن علماء الكتاب المقدس أجمعوا على أن كلمة "هيرورجو" هذه لم تستعمل فيه، إلا في الآية المذكورة أعلاه. كما أنها تستعمل في الكتب القديمة إلا في كتاب الميكابيين (7: 9)، فقد جاء به أن الملك ديمتريوس بن سلوقس من رومية قلد الكيمس الكافر الكهنوت، وأمره أن ينتقم من بني إسرائيل. فالكيمس هذا لم يصبح كاهناً بل أصبح فقط ككاهن عن المرجعين السابق ذكرهما.

52- اقرأ مثلاً (أ) New World Translation (ب) Standard Revision

53- المسيح كاهن ورئيس كهنة معاً على رتبة ملكي صادق (عبرانيين6: 6، 8: 1)، لأن هذا بسبب تفرده بالكهنوت، كان كاهناً ورئيس كهنة في نفس الوقت، كما ذكرنا في كتاب "كهنوت المسيح".

54- فدائرة خدمة المسيح الكهنوتية هي في السماء وليس على الأرض، ولذلك قال الرسول عن المسيح أنه لو كان على الأرض لما كان كاهناً (عبرانيين 8: 4). وإذا كان الأمر كذلك، فليس هناك مجال لوجود كهنة بالمعنى الحرفي على مثاله في الأرض- وخدمة المسيح الكهنوتية السماوية تتضمن تمثيلنا في كماله الذاتي أمام الله، ورفع صلواتنا إليه مقبولة كل القبول في شخصه المبارك، كما تتضمن عطفه علينا وتعضيده لنا طوال سيرنا في البرية، الأمر الذي لا يستطيع القيام به سواه، كما ذكرنا في كتاب "كهنوت المسيح".

55- كان الأساقفة هم القسوس في أول الأمر، كما سيتضح فيما يلي من هذا الباب.

56- أما باقي الاعتراضات الخاصة بهذا الموضوع فقد شجيناها في كتاب "العشاء الرباني"، فليرجع إليه القارئ إذا أراد.

الحجج التي يقال بورودها في العهد القديم، والرد عليها

1- (إن كون جميع المؤمنين في العهد الجديد هم كهنة بالمعنى الروحي لا يتعارض مع وجوب وجود كهنة بالمعنى الحرفي بينهم، لأن الله قال لليهود جميعاً من قبل "وأنتم تكونون (جميعاً) لي مملكة

كهنة"(خروج19: 6)، ومع ذلك كان بينهم كهنة يقدمون لله ذبائح كفارية عنهم).

الرد: فضلاً عن أن الكهنوت بالمعنى الروحي لم يكن سائداً في العهد القديم، كما يسود الآن في العهد الجديد الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة، نقول: بما أنه ليس هناك مجال لوجود ذبيحة كفارية في العهد الجديد، لأن الكفارة التي قدمها المسيح مرة على الصليب، لبقاء فعاليتها إلى الأبد، كافية للتكفير عن خطايا كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً في كل العصور والبلاد كما ذكرنا، لذلك ليس هناك مجال لوجود كهنة بالمعنى الحرفي في هذا العهد ومع ذلك نقول:

(أ)-إذا وضعنا أمامنا أن اليهود لم يقيموا من تلقاء أنفسهم كهنة يقدمون عنهم الذبائح الكفارية لله، بل الله نفسه هو الذي أقامهم وعين أيضاً واجباتهم وامتيازاتهم، في حين أنه لم يقم في العهد الجديد كهنة يقدمون عنا أي ذبيحة كفارية (وذلك لعدم وجود أي مبرر لها، كما ذكرنا)، اتضح لنا أن إدخال أي نظام كهنوتي في المسيحية على مثال الكهنوت اليهودي، ولو من بعض الوجوه، يعتبر تهويداً للمسيحية. وهذا مالا يرضاه أي مؤمن حقيقي، لأن المؤمنين الحقيقيين في المسيحية هم شعب سماوي (يوحنا 15: 19، 1كورنثوس 15: 48)، وبركاتهم هي بركات سماوية (أفسس 1: 3)، ودائرة عبادتهم بالروح هي السماء عينها (عبرانيين4: 16). وذلك على النقيض من اليهود، كما ذكرنا فيما سلف.

(ب)-كما أننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن الله لم يعين بني إسرائيل مملكة كهنة، بل وعدهم فقط بذلك إذا حفظوا وصاياه (خروج 19: 6). فلما لم يحفظوها أزال الله عنهم هذا الكهنوت العام وحصره في هرون وأولاده- أما المؤمنون الحقيقيون في العهد الجديد، فلم يعدهم الله أن يكونوا كهنة، بل عينهم جميعاً فعلاً في هذا المركز (رؤيا 1: 6)[1]إنما ليس لتقديم ذبائح كفارية، بل ذبائح روحية (1بطرس2: 5). ومن ثم ليس هناك مجال لوجود كهنوت بالمعنى الحرفي بينهم.

2- (إن الله أقام الكهنة قديماً لكي يكونوا وسطاء بينه وبين اليهود، ومن ثم يجب أن يكون هناك الآن وسطاء مثلهم يقربون المسيحيين إلى الله).

الرد: إن العهد القديم يختلف كل الاختلاف عن العهد الجديد من جهة أساس العلاقة مع الله. ففي العهد الأول لم يكن للناس أن يقتربوا إلى الله إلا بواسطة الذبائح الكفارية، ومن ثم استلزم الأمر وجود كهنة يقدمونها له نيابة عنهم، وذلك حسب القواعد التي وضعها تعالى لهم. أما في العهد الجديد، فنظراً لأن كفارة المسيح قد وفت كل مطالب العدل الإلهي إلى الأبد، لم تعد بعد حاجة إلى ذبيحة كفارية أياً كان نوعها... ولذلك قال الرسول "وإنما حيث تكون مغفرة لهذه (الخطايا)، لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عبرانيين 10: 17). كما أنه بفضل هذه الكفارة، قد شق الله الحجاب الذي يحول بينه وبين الناس بسبب خطاياهم (متى 27: 51)، ففتح بذلك المجال أمام المؤمنين الحقيقيين منهم للإتيان إليه مباشرة دون عائق أو مانع. ومن ثم قال الرسول لنا جميعاً: "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة (مباشرة) لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" (عبرانيين4: 16).

وإذا كان الأمر كذلك، فإن كان هناك داع لوجود وسيط أو شفيع أو كاهن بيننا وبين الله، فإنه لا يكون شخصاً سوى المسيح كما أعلن الوحي (1تيموثاوس 2: 5، 1يوحنا 2: 1، عبرانيين 10: 21).. ونظراً لأنه لا يموت ولا تتعطل خدمته، أو جزء من خدمته، لأي سبب من الأسباب، فلا تكون هناك حاجة إلى أحد يساعده في تأديتها، أو يحل محله فيها فترة ما. كما ذكرنا.

3- (إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن قورح ورفقاءه الذين أقاموا أنفسهم كهنة متحدين بذلك هرون الذي عينه الله، رفضهم تعالى وأهلكهم (العدد 16). وهكذا يكون مصير الذين يقولون عن أنفسهم أنهم كهنة في العصر المسيحي، دون أن يكونوا قد أقيموا رسمياً من الله بصفة خاصة).

الرد: إن الله قد حصر الكهنوت في العهد القديم في هرون وبنيه، ولذلك كانت مقاومة قورح ورفقائه لهرون وبنيه (أو بالحري رغبتهم في تولي الكهنوت عوضاً عنه وعنهم) تمرداً على تدبير الله. أما في العهد الجديد، فلم يقم الرب له جماعة خاصة من بين المؤمنين، يكونون كهنة بالمعنى الحرفي، بل جعل كل المؤمنين الحقيقيين كهنة له بالمعنى الروحي. ولذلك فالذين يريدون التفرد في هذا العهد بكهنوت خاص دون باقي المؤمنين، هم الذين يشبهون قورح ورفقاءه، على النقيض مما ذهب إليه صاحب هذه الحجة، إذا كان من الجائز أن تدعى حجة.

4- (جاء في (إرميا 33: 18) إنه لا ينقطع للكهنة اللاويين إنسان من أمام الله يصعد محرقة ويحرق تقدمة ويهيئ ذبيحة كل الأيام. وجاء في (ملاخي 3: 3) إن الله سينتقي بني لاوي ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر- وبما أن الكهنوت اللاوي أو اليهودي انتهى من زمن بعيد، لذلك فهاتان الآيتان هما نبوة عن أشخاص يكونون كهنة من بين المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد).

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك مجال لإصعاد محرقة وحرق تقدمة وتهيئة ذبيحة في العهد الجديد، لأن هذه كلها كانت رموزاً مؤقتة إلى كفارة المسيح من نواح متعددة كما ذكرنا، الأمر الذي لا يدع مجالاً للظن بأن الآيات الواردة في الاعتراض، يراد بها نبوة عن وجود كهنة بالمعنى الحرفي في العهد الجديد، نقول:

(أ)-إن العشاء الرباني ليس ذبيحة (كما اتضح لنا بكل جلاء في الباب الأول، من هذا القسم)، حتى كان يستلزم الأمر وجود كهنة بالمعنى الحرفي للقيام به.

(ب)-إن بني لاوي لا يراد بهم إلا بنو لاوي أنفسهم، وليس مؤمنين بالمسيح من قبائل وأجناس مختلفة، كما هي الحال في العهد الجديد الذي نعيش فيه الآن.

(ج)-إن الكتاب المقدس، كما اتضح لنا مما سلف، ينفي وجود أي ذبيحة كفارية في العهد الجديد، ومن ثم ينفي وجود كهنة بالمعنى الحرفي في هذا العهد، ولذلك لا يمكن أن تكون هناك نبوة في العهد القديم عن وجود هؤلاء الكهنة في العهد الجديد، لأن الكتاب المقدس لا يناقض نفسه.

(د)-أما عن الزمن الذي ستتحقق فيه هذه النبوة، فواضح من (ملاخي 3: 1- 2) أنه بعد إتيان المسيا أو المسيح بالقوة للقضاء على الشر، وتولي الملك العام على العالم، وذلك عند مجيئه الثاني (متى 25: 31- 36، 26: 64، 2بطرس3: 7- 10) كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب "الصلاة الربانية- تفسيرها ومجال استعمالها".

أخيراً نقول: إذا وضعنا أمامنا أن المسيح بدخوله بدم نفسه إلى الأقداس السماوية (عبرانيين8: 1- 5، 9: 11و 24)، نقل دائرة الخدمة الكهنوتية نهائياً من الأرض إلى السماء (عبرانيين8: 12)، اتضح لنا ما يأتي:

1- كما أنه لم يعد هناك مجال للهيكل اليهودي (لأنه بمجرد أن قال المسيح على الصليب "قد أكمل"، انشق حجاب الهيكل المذكور من أعلى إلى أسفل (لوقا 23: 45))، كذلك لا يكون هناك مجال لإقامة هيكل أرضي على مثاله في المسيحية، لأن الهيكل الأول كان رمزاً إلى الأقداس السماوية (عبرانيين 8: 5)، والله لا يستعيض عن هيكل رمزي بآخر رمزي مثله. ومما يثبت ذلك أننا إذا رجعنا إلى العهد الجديد، لا نرى أن الله أمرنا بإقامة هيكل أو مذبح في هذا العهد، كما أمر اليهود من قبل. بل أعلن لنا أننا نحن المؤمنين هيكل الله (2كورنثوس6: 16)، لأنه تعالى لا يسكن في هياكل مصنوعة بأيدي الناس (أعمال7: 48) كما أعلن لنا أنه ليس هناك مكان على الأرض أقدس من غيره، نسجد لله فيه (يوحنا 4: 21).

2- وبما أن الله لم يأمرنا بإقامة هيكل أو مذبح في العهد الجديد، لذلك لم يعد هناك مجال لتقديم أي ذبيحة كفارية مهما كان شأنها. فقد قال الوحي "وإنما حيث تكون مغفرة لهذه (الخطايا)، لا يكون بعد قربان عن الخطية" (عبرانيين10: 18)- ذلك لأن المسيح، على أساس ذبيحة نفسه التي تفوق في قدرها كل شيء في الوجود، قد أبطل الخطية من أمام الله بالنسبة لنا، وأبطلها إلى الأبد (عبرانيين 9: 26). وبما أن الغرض الأساسي من إقامة كهنة بالمعنى الحرفي هو تقديم الذبائح الكفارية لله، وهذه الذبائح لا مجال لها في العهد الجديد، لذلك ليس هناك مجال لهؤلاء الكهنة على الإطلاق.

ولكن وإن لم يكن هناك مجال لوجودهم في هذا العهد، غير أنه (كما يتضح من الكتاب المقدس)، يوجد قسوس (أو أساقفة)، وشمامسة[2]ورعاة، ومدبرون، ووعاظ، ومعلمون، وذلك حسب المواهب التي أعطاها الله لكل فريق منهم- وهؤلاء، والحمد لله كثيرون، وبانقيادهم بالروح القدس يمكن أن يقوموا بأعمالهم خير قيام.

57- وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن حفظ وصايا الله بالنسبة إلى المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد، ليس شرطاً للبقاء في مركز الكهنوت الذي عينهم الله فيه، إنما هو شرط لإمكانية ممارستهم لخدمات الخاصة به، على الوجه الذي يرضي الله. لأن بقاءهم في هذا المركز، ليس متوقفاً على أعمالهم بل على استحقاقات كفارة المسيح الدائمة الأثر.

58- يتضح من (أعمال الرسل6) أن عمل الشمامسة الرئيسي هو العناية بالأرامل والفقراء- وهذه الخدمة لم تكن لتمنع بعضهم من القيام بالوعظ أو التعليم، أو غيرهما من الخدمات، إذا كانوا حصلوا من الله على المواهب الخاصة بها.

الباب الثالث: الحجج القائلة بوجود الكهنوت بالمعنى الحرفي منذ القرن الأول، والرد عليها.

الحجج القائلة بوجود الكهنوت بالمعنى الحرفي منذ القرن الأول، والرد عليها

على الرغم من البيان السابق ذكره، هناك كثيرون يعتقدون أن الكهنوت بالمعنى الحرفي كان موجوداً في الكنيسة منذ القرن الأول، ولذلك يكون (حسب اعتقادهم) قد أقيم بواسطة الرسل أنفسهم. ولكن الحقيقة هي أن هذا الكهنوت (كما يتضح من التاريخ الكنسي) مرتبط كل الارتباط بممارسة العشاء الرباني. ومن ثم لكي نعرف تاريخه، علينا أن نعرف كيفية ممارسة العشاء المذكور في العصر الرسولي، والاعتقادات التي نشأت بشأنه بعد ذلك، وأثرها في كيفية ممارسته، ولذلك نقول:

كيفية ممارسة العشاء الرباني في العصر الرسولي

1- من جهة المظهر العام لممارسته: كان المؤمنون في العصر الرسولي يعتقدون أن العشاء الرباني هو فقط تذكار كريم لموت المسيح كفارة عن البشر كما ذكرنا فيما سلف، ومن ثم لم يكن يخطر ببالهم مطلقاً أن هذا العشاء يتحول فعلاً إلى ذات جسد المسيح ودمه. وبناء عليه نرى:

(أ)-أن الرسل لم يشيدوا لممارسة العشاء الرباني بناء خاصاً يدعى هيكلاً، أو أقاموا مذبحاً ليضعوا عليه هذا العشاء، بل كانوا يقومون به في بيوت عادية، وطبعاً على موائد الطعام العادية التي فيها (أعمال2: 42).

(ب)-أنهم كانوا يمارسون العشاء الرباني دون أن يلبسوا ملابس خاصة، أو يستعملوا شموعاً أو بخوراً أو طقوساً أياً كان نوعها. كما أنهم لم يصلوا بنغمة معينة أو استعملوا آلات موسيقية مثل الدفوف والصنوج. ولم يقسموا المؤمنين إلى فرق كقسوس وشمامسة، لتقوم كل فرقة بدورها في العبادة. فضلاً عن ذلك فإن الخبز والخمر اللذين كانوا يستعملونها في هذا العشاء لم يكونا من نوع خاص، بل كانا يؤخذان من الخبز والخمر العاديين اللذين كان المؤمنون يأتون بهما إلى ولائم المحبة (كتاب الخريدة النفسية ج1 ص 147).

(ج)-أنهم، مع باقي المؤمنين، كانوا يعبدون الله بنفس واحدة (أعمال2: 1)، بعيداً كل البعد عن الرياسة الدينية التي نشاهدها في الوقت الحاضر. كما أن قول الرسول للمؤمنين "إذاً يا إخوتي. حين تجتمعون للأكل (من عشاء الرب) انتظروا بعضكم بعضاً [1]"(1كورنثوس 11: 33)، يدل على أنه لم يكن هناك بين المؤمنين شخص مسئول يناول بيده المشتركين في هذا العشاء، لأنه لو كان هناك مثل هذا الشخص، لكان الرسول قد أوصاه وحده أن ينتظر، حتى يحضر جميع المشتركين. ومن ثم

فالعشاء الرباني كان يوضع بين أيدي المؤمنين جميعاً، وكانوا هم الذين يوزعونه بينهم وبين أنفسهم، وهم في حالة الشركة الروحية مع الرب، والخضوع القلبي لإرشاد الروح القدس لهم.

(د)-أخيراً إن قول الرسول "ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس" (1كورنثوس 11: 28)، يدل على أنه لم يكن في العصر الرسولي شخص مسئول كالكاهن (مثلاً) يعترف المؤمنون أمامه بخطاياهم، حتى يصرح لهم بالاشتراك في هذا العشاء، بل أن كل واحد منهم كان يمتحن نفسه أمام الله. فإن وجد خطأ في تصرفه، اعترف به أمام الله، ثم ندم لارتكابه، واضعاً في قلبه ألا يعود إلى مثله. وبعد ذلك يشترك من تلقاء نفسه في العشاء المذكور، بما يتفق مع قدسية الذكرى التي يدل هذا العشاء عليها، وذلك تحت مسئوليته الشخصية.

2- من جهة رفع الشكر لله: بالرجوع إلى الكتاب المقدس، لا نعثر على عبارة من عبارات الشكر [2]التي رفعها مرة واحدة من الرسل لله، عند ممارسة العشاء الرباني. ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم لم يعملوا صيغة ما للشكر يجب استعمالها عند ممارسة العشاء المذكور، بل كانوا يقومون بهذا الشكر بإرشاد الروح القدس[3]وقيادته. ومن ثم كان الشكر يختلف من رسول لآخر، بل ومن وقت لآخر، حتى بالنسبة إلى الرسول الواحد[4]،وذلك تبعاً لإرشاد الروح القدس. فضلاً عما تقدم، فإن الله لا يريد أن نستعمل عبارات الشكر التي نطق بها آخرون، لئلا تصبح عبادتنا عبادة تقليدية آلية لا قيمة لها في نظره، إذ أن العبادة التي تسره هي الصادرة من قلوب متأثرة فعلاً بنعمته، بواسطة عمل الروح القدس فيها كما ذكرنا. وكلمة "له" التي تتكرر أربع مرات في الآية "متى اجتمعتم، فكل واحد منكم، له مزمور (د) له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة" (1كورنثوس 14: 26)، مع القول "كل واحد منكم..."، تدل فيما تدل عليه، على أنه لم يكن في ذلك العصر شخص ما ينفرد بالشكر، بل أن كل مؤمن كانت له الحرية، يعمل الروح القدس في نفسه، للتعبير عما يشعر به من حب وإكرام لله. ولا غرابة في ذلك، فالعلاقة بين كل واحد منا وبين الله، يجب أن تكون علاقة شخصية مباشرة، وإلا فلا معنى للصلاة له.

3- من جهة الوعظ والتعليم: وهذان لم يكونا في العصر الرسولي وقفاً أيضاً على أشخاص معينين، بل كانت تعطي حرية القيام بهما لكل الذين نالوا مواهب روحية من الله، تحت إرشاد الروح القدس وقيادته. فقد

قال الرسول للمؤمنين "ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان، أم خدمة ففي الخدمة أم المعلم ففي التعليم، أم الواعظ ففي الوعظ..." (رومية 12: 6- 8). ومن ثم كان المؤمنون (كما يعلن الوحي) يعظون بعضهم بعضاً، ويعزون بعضهم بعضاً، ويبنون أحدهم الآخر (عبرانيين 10: 25، 1تسالونيكي 5: 11). فضلاً عن ذلك فإن أصحاب المواهب كانوا ينظرون إلى المواهب التي أعطاها الله لهم، ليس كوسيلة للفخر أو التباهي أو السيادة على المؤمنين، بل كوسيلة لخدمتهم وإفادتهم (1بطرس4: 10 -11).

أما القول (إن فتح المجال أمام المؤمنين عامة للصلاة والترنيم والوعظ والتعليم، دون رئيس منظور يقودهم وينظم عبادتهم، لا بد أنه يؤدي إلى الفوضى بينهم) فلا مجال له. لأن المسيح يوجد بلاهوته في وسط المؤمنين الحقيقيين، الذين يجتمعون باسمه (متى 18: 20). ووجوده بلاهوته في وسطهم، ليس مجرد عقيدة دينية، بل إنه حقيقة واقعة، ومن ثم فإن هؤلاء المؤمنين عندما يكونون خاضعين بقلوبهم له، يشعرون جميعاً بالهيبة التي تلازم حضوره في اجتماعهم باسمه. وتبعاً لذلك لا يجرؤ واحد منهم في هذا الاجتماع على الاندفاع والتسرع. نعم إن الحرية مكفولة لهم جميعاً للقيام بالصلاة والتسبيح والوعظ والتعليم، لأنه حيث روح الرب فهناك حرية (2كورنثوس 3: 17). لكن هذه الحرية ليست لهم بل للروح القدس العامل فيهم، ومن ثم لا يكون هناك مجال للفوضى بينهم على الإطلاق.

والاجتماع باسم الرب ليس مقصوراً على جماعة خاصة من المؤمنين الحقيقيين، بل إنه من امتيازهم جميعاً في كل زمان ومكان. لكن يجب ألا يغيب عنا أنه ليس كل من يجتمعون منهم ليصلوا، أو لينشدوا بعض الترانيم الروحية أو ليتأملوا في بعض الآيات الكتابية، يكونون مجتمعين باسم الرب، لأن الاجتماع باسم الرب يراد به أولاً وقبل كل شيء، تقابل نفوس المؤمنين الحقيقيين مع الرب على أساس الإيمان الحقيقي بحضوره، ووجودها في حالة الخضوع التام لرياسته، وذلك لأجل تمجيده والتمتع به والإفادة منه.

كما أنه ليس كل من يصلي صلاة مؤثرة أو يلقي عظة بليغة، يكون منقاداً بالروح القدس، إذ من المحتمل جداً أن يكون منقاداً في هذه وتلك بالحماسة أو الفصاحة البشرية فحسب، لأنه لا يستطيع القيام بالصلاة

والوعظ بالروح القدس، إلا من كان مملوءاً به ومنقاداً به في حياته اليومية، إذ أن الإناء ينضح بما فيه، فالينبوع العذب يخرج ماء عذباً، والشجرة الجيدة تعطي ثمراً جيداً.

4- أثر تعيين القسوس في ممارسة العشاء الرباني: (أ) إن القسوس الذين عينهم الرسل في بعض الكنائس [5]لم يكونوا كهنة بالمعنى الحرفي، كما ذكرنا فيما سلف. ولذلك كانوا يشتركون في العبادة جنباً إلى جنب مع باقي المؤمنين، وإذا كانوا أصلاً من أصحاب المواهب الروحية، فطبعاً كان لهم أن يستخدموا مواهبهم داخل هذه الاجتماعات، جنباً إلى جنب غيرهم من أصحاب المواهب المذكورة.

(ب)-أما من جهة تصرفات القسوس العامة، فإنهم مع تقدمهم في السن واختباراتهم في حياة الإيمان وأهمية المواهب التي يمكن أن يكونوا قد أخذوها من الرب، كانوا يعيشون مع باقي المؤمنين في أول الأمر، لا حياة الرياسة والسيادة، بل حياة التواضع والوداعة. وذلك عملاً بقول المسيح لتلاميذه "وأما أنتم فلا تدعوا (من أحد) سيدي لأن معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعاً أخوة" (متى 23: 8- 11)، وعملاً أيضاً بقول الرسول إن الأسقف يجب ألا يكون معجباً بنفسه (تيطس 1: 7)، وإن القسوس يجب أن يقوموا بعملهم ليس لربح قبيح بل بنشاط، وليس كمن يسود على الأنصبة [6]، بل صائرين أمثلة للرعية (1بطرس 5: 1- 3)، وبقوله عن نفسه "فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين" (1كورنثوس 9: 19)، ومن ثم فإن العبادة، مع وجود القسوس (والشمامسة أيضاً) كانت تسير في اجتماع العشاء الرباني وغيره من اجتماعات العبادة (كما كانت تسير قبل تعيينهم) تبعاً لقيادة الروح القدس وحده.

(ج)-هذه هي حالة الاجتماعات في القرن الأول، وفيها تتجلى البساطة الروحية التي لم يتدخل فيها الفكر البشري بتنظيماته المتعددة. وبساطة مثل هذه لها قدسيتها الخاصة أمام الله، لأن هذه القدسية ليست في الأبنية الشاهقة، أو الملابس المزركشة، أو الطقوس المنمقة، أو الأصوات الرخيمة، بل إنها في حضور الرب وبسط هيبته على الاجتماعات الروحية. لذلك كانت هذه الاجتماعات تسير ببركة الرب، وكانت تنمو وتزداد، وكان الرب يضم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون (أعمال 2: 47).

59-ويرجع السبب في الانتظار المذكور إلى ثلاثة أمور: (الأول) إن هذا العشاء يدل، فيما يدل عليه، على وحدة المؤمنين الروحية في المسيح، (الثاني) إنه ليس عشاء واحد أو جماعة منهم بل هو عشاء الرب، وما هم إلا ضيوف لديه والضيوف، لاسيما الضيوف لدى الرب، يجب أن يحافظوا على الهدوء والتريث أمامه، فلا يتسرع أحدهم بالتناول من هذا العشاء قبل حضور باقي المشتركين فيه. (الثالث) إن جمع المؤمنين الحقيقيين كانوا أمواتاً بالذنوب والخطايا ومعرضين للهلاك الأبدي، وأنهم أيضاً جميعاً خلصوا من هذا الهلاك وذلك الموت بواسطة كفارة المسيح دون غيرها، ولذلك ليس هناك فضل لبعضهم على البعض الآخر أمام عشاء الرب، لأنه تذكار لهذه الكفارة.

60-إن فرصة ممارسة العشاء الرباني فرصة صلاة لأجل المرضى والمتألمين وغيرهم، بل إنها من أولها إلى آخرها شكر لله. لأننا في هذه الفرصة لا نضع أمامنا إلا محبة المسيح وفداءه الكريم الذي قام به على الصليب لأجلنا. ومن ثم لا يكون هناك مجال أمامنا وقتئذ للانشغال بظروفنا أو ظروف الناس. أما الصلاة من أجل هذه وتلك، فتكون في أوقات الصلاة الفردية، أو في اجتماعات الصلاة العامة. وقد عرف هذه الحقيقة الأتقياء منذ القديم فقال ذهبي الفم عن العبادة التي ترفع عند ممارسة العشاء الرباني إنها "صلاة شكرية" (مواعظه ص 203). وقال أغناطيوس من قبله "فاسمحوا لهم أن يشكروا بقدر ما يريدون" (تاريخ الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص28).

61- وقد عرف هذه الحقيقة كثيرون من أتقياء القائلين بالكهنوت بالمعنى الحرفي. فقد قالوا "الآن نترك لك مطلق الحرية لتصلي كيفما تريد. فقط حاول أن تكرس أوقات يقظتك لله وأن تسلم نفسك لإرادته" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 459).

62- فقد قال أيضاً الأتقياء المذكورون في الحاشية (2): "يجب أن لا نقول في كل صلاة، ما نقوله في الأخرى. وأن لا نقول صلاة واحدة محفوظة في سائر الأوقات التي نجتمع فيها... بل نقول في كل وقت ما يليق به من صلاة" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 607).

63- كانت هذه الكنائس بصفة عامة، مكونة من يهود وغيرهم من الأجناس، وقد أقامهم الرسل بسبب ما كان ينشب من هؤلاء وأولئك من نزاع.

64- كلمة "أنصبة" هنا، يراد بها المؤمنون أنفسهم، بوصفهم "ميراث الله ونصيبه". فقد اختارهم من العالم لنفسه (2صموئيل 21: 3، 1ملوك8: 51). ولذلك يطلق عليهم رعيته (1بطرس5: 2)، وليس رعية القسوس (أو الأساقفة) ومن ثم لا يجوز لهؤلاء أن يسودوا عليهم.

تطور الاعتقاد بشأن العشاء الرباني

، وأثره في كيفية ممارسة هذا العشاء

رأينا فيما سلف أن العشاء الرباني ليس ذبيحة. وأن القسوس في العصر الرسولي، كانوا لا يعتبرون أنفسهم رؤساء على المؤمنين أو قادة لهم في العبادة، بل أخوة لهم يشتركون معهم فيها جنباً إلى جنب- لكن لم ينته النصف الأول من القرن الثاني، حتى أخذت نظرة بعض المسيحيين تتغير من جهة ماهية العشاء الرباني، ومن جهة مركز القسوس تبعاً لذلك، كما يتضح مما يلي:

1- أخذ المسيحيون ابتداء من منتصف القرن الثاني تقريباً يفكرون في قول الوحي عن المسيح إنه بارك، قبل تقديم خبز العشاء الرباني لتلاميذه (متى 26: 26، مرقس 14: 22). وفي معنى قوله عن الخبز والخمر اللذين استعملهما في هذا العشاء، إنهما جسده ودمه. فرأى فريق منهم أن الخبز والخمر لا بد أنهما يتحولان إلى جسد المسيح ودمه على نحو ما، ويكونان تبعاً لذلك ذبيحة. ورأى الفريق الآخر أن حديث المسيح عن الخبز والخمر هو حديث مجازي فحسب، وأن كلمة "بارك" في هذا المجال لا تعني أكثر من "شكر"، كما ذكرنا في الباب الأول من هذا القسم.

2- وقد نشأ عن الاختلاف من جهة ماهية العشاء الرباني، اختلاف بين القسوس من جهة مركزهم بالنسبة إلى باقي المؤمنين. فالذين لم يؤمنوا منهم بالتحول ظلوا على الاعتقاد بأنهم لا يزيدون عن كونهم أخوة لباقي المؤمنين، لأنهم وإياهم مخلصون بالنعمة المجانية مثلهم (أفسس2: 8)، وأعضاء جسد المسيح الروحي معهم (أفسس5: 30)، كما ظلوا على الاعتقاد بأن خدمة القسوسية التي أسندت إليهم، لا تجعلهم أقرب إلى الرب من هؤلاء المؤمنين. لأن هذا الاقتراب ليس مؤسساً على المراكز الدينية، بل على كفارة المسيح من جهة الامتياز، وعلى الحياة الروحية من جهة المسئولية- وذلك الامتياز هو لجميع المؤمنين، وهذه المسئولية

عليهم جميعاً القيام بها. ومن ثم كانوا لا يتفردون بالصلاة في اجتماع العشاء الرباني (أو غيره من اجتماعات العبادة)، بل كانوا يشتركون فيها جنباً إلى جنب مع غيرهم من المؤمنين، وذلك تحت قيادة الروح القدس وإرشاده، كما كانت الحال في العصر الرسولي.

3- أما القسوس الذين قالوا بالتحول، فقد اعتبروا أنفسهم كهنة. وكان أول من قال بذلك شخص يدعى كبريانوس سنة 258م. كما اعتبروا أنفسهم رؤساء على المؤمنين وأقرب إلى الله منهم، ولذلك أخذوا يتقدمونهم في الصلاة أو يقومون بمعظمها عوضاً عنهم، كما كان يفعل رجال الدين في الأديان الأخرى. ويتضح هذا من القول المنسوب إلى أغناطيوس: "صلاة العشاء الرباني التي تتم برياسة الأسقف [1]هي وحدها، الصلاة القانونية.وبدونها لا يكون هذا العشاء مقبولاً لدى الله" والمنسوب إلى غيره "إذا وقفتم (للصلاة)، وقف الرؤساء (يقصد الأساقفة أو القسوس) أولاً، ثم الرجال والنساء" (الدسقولية وتاريخ الآباء في القرون الثلاثة الأولى).

ولعل الغرض من إسناد صلاة العشاء الرباني إلى الأساقفة وحدهم كان إيجاد جو من النظام البشري الظاهري في الاجتماعات الدينية الرئيسية (لأنها كانت تتكون وقتئذ من أشخاص حديثي الخروج من اليهودية والوثنية، لم يكونوا قد أدركوا بعد ماهية الحرية الروحية في العبادة المسيحية. ومن ثم كان من الجائز أن يستغلوا هذه الحرية في ترك العنان لأفكارهم الشخصية في الصلاة، فتضطرب اجتماعات العبادة وتسودها الفوضى، ولكن وإن كان هذا الغرض طيباً من جهة النظر البشرية، بيد أنه من الخطأ الفاحش أن ندخل نظاماً في العبادة لا يتفق مع كلمة الله، إذ أن هذه تنص بكل صراحة على أن لكل واحد من المؤمنين الحرية للتعبير عما في نفسه من حب وإكرام للرب، وذلك بإرشاد الروح القدس وقيادته كما ذكرنا. وإذا كان هناك أفراد لا يقدرون هذه الحرية، فالواجب ليس إلغاءها، بل توضيح حدودها لهم بكل الطرق الممكنة. وإذا استغلوا الحرية المذكورة بعد ذلك في التظاهر والتفاخر، يمكن توجيه الإنذار اللازم إليهم كما أعلن الوحي (رومية 15: 14).

4- وبعد ذلك أخذ رجال الدين المذكورين يعزلون أنفسهم عن باقي المسيحيين، كما كان يفعل رجال الأديان الأخرى بالنسبة إلى أتباعهم، فأطلقوا على أنفسهم اسم "إكليروس" وهي كلمة يونانية معناها

"النصيب أو الميراث"، قاصدين بذلك أنهم وحدهم نصيب الله وميراثه الخاص. وأطلقوا على الذين لم ينخرطوا في سلكهم اسم "لاؤس" أي الشعب أو العامة- مع أننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس نرى أن اسم "إكليروس" بمعنى "النصيب أو الميراث"، يطلق على جميع المؤمنين الحقيقيين في العهد الجديد (أفسس 1: 18)، وفي العهد القديم أيضاً (1ملوك8: 51).

5- ولما كثر عدد القسوس استحسنوا أن يقيموا رئيساً لهم، يتصف بصفة خاصة بالرزانة والحكمة والتقوى، لكي يرتب لهم أعمالهم ويقضي على كل خلاف يمكن أن يقوم بينهم، وقد أطلقوا على هذا الرئيس وحده اسم "الأسقف"، مع أن الأسقف في العصر الرسولي، كان هو القسيس بعينه كما ذكرنا. ولما انتشرت المسيحية في أقطار كثيرة، وازداد عدد الأساقفة في كل قطر منها، استحسنوا أن يقيموا عليهم جميعاً رئيساً يكون أيضاً أكثرهم رزانة وحكمة وتقوى، وذلك لكي يجمع صفوفهم ويرأس اجتماعاتهم، وقد أطلقوا على هذا الرئيس اسم "رئيس الأساقفة" أو "البطريرك" والاسم الأخير كان يطلق على كل من إبراهيم واسحق ويعقوب وداود عند اليهود.

ولما أصبح القسوس كهنة في القرن الثالث كما ذكرنا، كان من البديهي أن يصبح البطريرك رئيس كهنة. ولذلك أخذ مركزاً يعادل مركز هرون (الذي أقامه الله رئيساً لكهنة اليهود قديماً [2]) من بعض الوجوه، كما أخذ كهنته مركز كهنة العهد القديم- فقد قال موسهيم "ومذ فاز الناس الذين بيدهم زمام الكنيسة بإقناع الشعب أن يعتبروهم كخلفاء لكهنة اليهود. حصلوا على جانب عظيم من الكرامة. ومن ثم جعلوا بين المعلمين فرقاً أكثر مما تقتضيه حقيقة الديانة المسيحية" (تاريخه ص 64و 72و 73).

6- أما الشعب فبسبب انهماكه في الأعمال الدنيوية من جهة، وعدم درايته بكلمة الله من جهة أخرى، فقد قبل هذا التطور الديني كما أهمل امتيازاته الطيبة التي كان يتمتع بها المؤمنون فيما سلف من جهة حرية العبادة في حضرة الرب، والتي ذكرنا شيئاً عنها فيما سلف. فازداد بذلك نفوذ رجال الإكليروس وجمعوا السلطة في أيديهم، وأصبحوا هم الذين يقومون بكل الخدمات الدينية. ومن ثم لم يعد الشعب إزاءهم إلا متفرجاً أو تابعاً تقريباً.

65- كان الأسقف هو القسيس بعينه في أول الأمر، كما ذكرنا فيما سلف.
66- ومما يثبت ذلك أنه جاء في صلاة الشكر بالقداس لدى القائلين بالكهنوت الحرفي "يا كل حكماء إسرائيل، صانعي خيوط الذهب، اصنعوا ثوباً هارونياً لائقاً بكرامة كهنوت أبينا المكرم رئيس الكهنة (فلان) حبيب المسيح". وجاء في الألحان السابقة "للبوليس"، أو بالحري الأصحاح الذي يقرأ من رسائل بولس الرسول: "هذه المجمرة الذهب النقي حاملة العنبر التي في يد هرون الكاهن يرفع بخوراً على المذبح" قاصدين بـ "هرون" رئيس الكهنة لديهم.

تطور العبادة عند القائلين بالكهنوت الحرفي

1- إن القسوس الذين نادوا بأنهم كهنة، بسبب اعتقادهم أن العشاء الرباني ذبيحة، أخذوا يقتبسون في أواخر القرن الثالث الكثير من طقوس (هـ) العبادة التي كانت تستعمل في الهيكل اليهودي قديماً [1]بعد صبغها بصبغة مسيحية، وبذلك يكون كهنوت هؤلاء القسوس تقليداً للكهنوت اليهودي (و) مع أن الكهنوت لم يكن إلا رمزاً إلى الكهنوت المسيحي. وبمجيء هذا الكهنوت أصبح ذاك بلا قيمة على الإطلاق. وبالإضافة إلى ذلك عملوا القداس رغبة منهم في توحيد العبادة في المسيحية كما هو متبع لدى الأديان الأخرى[2]، (غاضين النظر عن أن العبادة المسيحية لا تسير تبعاً لنظام بشرى مرسوم، بل تبعاً لإرشاد الروح القدس في كل مناسبة من المناسبات)، وقد وافقهم على ذلك معظم المتنصرين من اليهود، وذلك لتأثرهم مثل أجدادهم الذين عاشوا في العصر الرسولي بالأنظمة الموسوية التي ألفوها منذ نعومة أظفارهم. وقد أشار موسهيم

إلى هذه الحقيقة فقال "لكن مع سطوة الرسل العظيمة، لم يكن ممكناً أن تستأصل بالكلية المحبة المتأصلة جذورها للناموس الموسوي من عقول اليهود المتنصرين، (ص 40).

2- غير أن بعض المؤرخين يقولون [3] "إن الأساقفة عندما رأوا أن بساطة العبادة (أو بالحري روحانيتها وخلوها من المراسم والطقوس) التي كانوا يسيرون عليها حتى منتصف القرن الثالث، تثير تهكم الوثنيين واليهود ضدهم، وتجعلهم ينظرون إليهم نظرة الازدراء والاحتقار، عمل هؤلاء الأساقفة طقوساً للعبادة المسيحية، لكي يضعوا حداً لتهكم هؤلاء وأولئك. وهكذا دخلت الطقوس والمراسيم الدينية إلى بعض الجماعات المسيحية (كما يقول موسهيم) بدون اقتضاء أو رضى الناس الصالحين الراسخين، إذ أن السبب الأصلي في دخولها هو اعوجاج الجنس البشري، الذي يسر بالمظاهر الدينية أكثر من التقوى".

وسواء أكان الرأي الأول هو الصواب، أم كان الثاني هو الصواب، فإن العبادة التي كانت في أول الأمر في منتهى البساطة، أخذت تحل محلها ابتداء من أواخر القرن الثالث، عبادة طقسية، يقوم بها الكثيرون بطريقة آلية، بعيدة كل البعد عن العلاقة الروحية مع الله.

3- ولما اعتنق المسيحية الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع، اتجهت الأنظار إلى اجتذاب معظم الملوك والأمراء إليها، فبذل بعض الأساقفة كل ما لديهم من جهد لإظهار العبادة المسيحية في أجمل مظهر يسر العيون والآذان، فشيدوا الكنائس الفخمة، وزينوها بالصور والتماثيل الجميلة، كما ارتدوا عند قيامهم بالصلاة ملابس خاصة مزركشة بخيوط ذهبية وأحجار كريمة. فضلاً عن ذلك، فقد استعملوا البخور (ز) والشموع (ح) كما جمعوا الكثير من الألحان الموسيقية، ووقعوا عليها الصلوات والتسابيح التي عملوها. وبعد ذلك أضافوا إلى الطقوس التي وصلت إليهم طقوساً أخرى تشد الحواس البشرية وتستهويها، فثار الروحانيون ضد الأساقفة المذكورين، وحاولوا العودة بالعبادة المسيحية إلى بساطتها الأولى، أو بالحري إلى روحانيتها الأولى، لكنهم لم يفلحوا كثيراً. لأن الأغلبية الساحقة من الناس في كل دين من الأديان، كانت (كما لا تزال) تجري وراء المظاهر الدينية، بما تحويه من أنظمة وحركات ونغمات جذابة. وقد وصف المؤرخون العبادة في هذا القرن، فقالوا إن الصلوات

فقدت الكثير من بساطتها الأولى وصارت مفخفخة، أو بالحري ذات رونق جذاب.

هذا هو تاريخ الكهنوت بالمعنى الحرفي أو التقليدي الذي صاغه بعض رجال الدين ابتداء من منتصف القرن الثالث. ولذلك فالقول (إن التاريخ الكنسي يثبت أن هناك فئة من المؤمنين كانت تدعى كهنة بالمعنى الحرفي منذ القرن الأول) لا نصيب له من الصواب. لأن كل المؤمنين الحقيقيين كانوا في القرن الأول يدعون كهنة بالمعنى الروحي، كما ذكرنا في القسم الأول. وفيما يلي جدول يوضح الفرق بين الكهنوت التقليدي أو الحرفي في العصر المسيحي، وبين الكهنوت اليهودي أو الرمزي، والكهنوت المسيحي أو الروحي، ليتجلى للقراء بسهولة الفرق بينه وبين هذين النوعين من الكهنوت.

رقم	الكاهن اليهودي أو الرمزي	الكاهن المسيحي أو الروحي	الكاهن التقليدي أو الحرفي
1	كان يهودي الجنس بفض النظر عن إيمانه، سواء كان حقيقياً أو اسمياً.	1- كل مؤمن حقيقي بغض النظر عن جنسيته.	1- ليس يهودياً في جنسيته، وليس دائماً مؤمناً حقيقياً، إذ أن كل ما يشترط فيه أن يكون حافظاً للقداس وملماً لبعض الحقائق المسيحية الجوهرية وأن يكون حسن السلوك إلى حد ما.
2	كان أحد أولاد هرون، ومع ذلك لم يحصل بولادته منه على أي بركة روحية.	2- هو أحد أولاد الله الذين نالوا منه طبيعية روحية تهيئهم للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية.	2- ليس من أولاد هرون، وليس دائماً من أولاد الله، وبالتالي ليس دائماً مهيأ للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية.
3	3- كان بلا عيب من الناحية	3- العيوب الجسدية لا تعطل	3- يفضل أن يكون خالياً من العيوب الجسدية. ومن

	الجسدية.	كهنوته، إذ المهم أنه بلا عيب روحياً أمام الله بسبب وجوده أمامه في المسيح، وأنه منقاد في عبادته، كما في حياته العملية، بالروح القدس الساكن فيه.	الناحية الروحية إن لم يكن في ذاته مؤمناً حقيقياً، لا يكون كاملاً أمام الله أو مقبولاً أمامه.
4	كان يغسل بالماء، ويرش بدم الذبائح، ويمسح بدهن المسحة.	4- إنه مولود ثانية بكلمة الله التي كان يرمز إليها قديماً بالماء، كما أن خطاياه مغفورة بفضل كفارة المسيح، ويسكن فيه الروح القدس الذي كان يرمز إليه بدهن المسحة، وذلك على أساس إيمانه القلبي بالمسيح وبالإضافة إلى ذلك فإنه يقوم بغسل قلبه بالكلمة الإلهية من وقت لآخر، فيكون طاهراً في سلوكه كما هو	4- قد يغتسل بالماء العادي، ولكنه ليس مرشوشاً بدم الذبائح أو ممسوحاً بدهن المسحة وفق النظام اليهودي. وفي الوقت نفسه لا تتوافر فيه الشروط المذكورة عن الكاهن المسيحي، إذا لم يكن مؤمناً حقيقياً.

		طاهر في مقامه.	
5	كان يؤدي خدماته الكهنوتية وفق طقوس خاصة وبملابس خاصة كان الله قد أمر بها في العهد القديم.	5- يؤدي خدماته الكهنوتية وهو في قداسة قلبيه بإرشاد الروح القدس الساكن فيه، وفي حدود كلمة الله في العهد الجديد دون اعتبار لأي نوع من الملابس.	5- يؤدي خدماته وفق طقوس وضعها بعض رجال الدين، وبملابس أوصوا باستعمالها. ولا يشترط فيه أن يكون مقدساً في الباطن عند أدائها، مثل الكاهن المسيحي.
6	كان يبتدئ كهنوته وينتهي عند سن معينة، إن لم ينته قبل هذه السن بمفارقة الحياة.	6- يبتدئ كهنوته بالولادة الروحية من الله ولا ينتهي إلى الأبد (رؤيا 22: 3).	6- لا يبتدئ كهنوته أو ينتهي عند سن معينة كاليهودي، ولا بالولادة الروحية وإلى الأبد كالمسيحي، بل يبتدئ كهنوته عند تعيينه في أي سن، وينتهي بمفارقة الحياة.
7	كان يخدم في هيكل أورشليم المقام حسب أوصاف إلهية.	7- يخدم بقلبه في الأقداس السماوية.	7- يخدم لا في هيكل أورشليم ولا في الأقداس السماوية، بل في بناء مصنوع على مثال هيكل أورشليم إلى حد ما. أما إذا كان مؤمناً حقيقياً فمن امتيازه أن يقوم بصلاته الخاصة في أقداس الله مثل الكاهن المسيحي.
8	كان يقدم ذبائح وتقدمات مادية، بعضها للتكفير	8- يقدم ذبائح روحية تعبداً لله وأخرى مادية	8- لا يقدم ذبائح الكاهن اليهودي بل يقدم العشاء الرباني لاعتقاده أنه ذبيحة

	والبعض الآخر للشكر. وإن كانت جميعها بحسب كلمة الله في العهد القديم، لكنها كانت كلها رمزية.	ومعنوية لخدمة البشر، وكلها بحسب كلمة الله في العهد الجديد.	الصليب الكفارية. أما إذا كان مؤمناً حقيقياً فمن امتيازه أن يقوم بالذبائح الروحية التي يقوم بها الكاهن المسيحي.
9	لم يكن له نصيب في الملك.	9- هو كاهن وملك معاً بسبب انتسابه إلى المسيح.	9- ليس كاهناً أو ملكاً في نظر الله، إلا إذا كان في ذاته مؤمناً حقيقياً.

مما تقدم يتضح لنا أن السبب الرئيسي في قيام الكهنوت بالمعنى الحرفي أو التقليدي لدى بعض المسيحيين، يرجع إلى اعتبارهم قول المسيح عن العشاء الرباني أنه جسده ودمه بالمعنى الحرفي، وذلك خشية أن ينحرفوا (حسب اعتقادهم) عن تعليمه. فغايتهم نبيلة ولكنهم في سبيل هذه الغاية، لم يلتفتوا إلى الاصطلاحات اللغوية، أو إلى حقيقة الخلاص بالإيمان الحقيقي دون سواه (أفسس 2: 8)، أو إلى حقيقة اتصالنا بالمسيح في الوقت الحاضر بالروح، وليس بالجسد (2كورنثوس5: 16). كما اتضح لنا في الباب الأول. والغاية لا تبرر الواسطة.

والحق إن موقف هؤلاء المسيحيين هو موقف الكثيرين في كل الأديان، فهناك من يعتقدون أنه نظراً لأن الله أعلن أن الفردوس الأبدي به أشجار ومياه، لا بد أن يكون فيها طعام وشراب ماديان. وهناك من يعتقدون أنه نظراً لأن الله يحاسب الناس على أعمالهم في الآخرة، لا بد أن يكون فيها ميزان كبير توضع السيئات في كفة منه والحسنات في كفة أخرى، غاضين الطرف عن أن عالم الروح لا أثر فيه للمادة على الإطلاق.

أما من جهة الحالة الروحية للذين يشغلون مركز الكهنوت بالمعنى الحرفي لدى المسيحيين، وإن كان البحث فيها خارجاً عن نطاق دراستنا، لكن إحقاقاً للحق نقول إن هناك كثيرين بينهم يؤمنون بالمسيح إيماناً حقيقياً، ولهم تبعاً لذلك حياة أبدية. كما أنهم يتمسكون كل التمسك بالحقائق المسيحية الجوهرية ويدافعون عنها بكل قواهم. فضلاً عن ذلك فإنهم يقومون في عبادتهم الشخصية وحياتهم العملية، بالكهنوت المسيحي الروحي بدقة وإخلاص. كما يضحون في خدمتهم للرب بكل

عزيز وغال لديهم، ولذلك يبارك الله خدمتهم هذه، فيجذب إليه كثيرين بواسطتها ويمتعهم بخلاصه الثمين.

من ثم لا يسعنا إلا أن نرجو الله من أعماق قلوبنا أن يزيل كل العوائق التي أدت إلى انقسام المؤمنين الحقيقيين إلى طوائف متعددة، حتى يكونوا واحداً، وذلك تحقيقاً لغرضه الكريم المبارك (يوحنا 17: 11)، وله المجد والإكرام إلى أبد الآباد.

67- ومما يثبت ذلك أنه جاء في سر "بخور البولس" الذي يرفع في أثناء القداس القول: "بخوراً روحياً تدخل به إلى الحجاب في موضع قدس أقداسك"- والحجاب وقدس الأقداس هما من مستلزمات الهيكل اليهودي. أما المسيحية (كما هي معلنة في الكتاب المقدس) فلا يوجد بها حجاب بيننا وبين الله، إذ أنه تعالى قد شقه من أعلى إلى أسفل عندما أكمل المسيح كفارته عنا على الصليب. وذلك للدلالة على كفاية هذه الكفارة، وترحيب الله بالخطاة التائبين في حضرته على أساسها. كما أنه لا يوجد بها قدس وقدس أقداس، بل يوجد بها أقداس فقط، وهذه الأقداس هي الأقداس السماوية، كما ذكرنا في القسم الأول.

68- ومما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة أن من أهم الأسباب التي جعلت القدماء يوحدون العبادة، هو وجود قسوس أميين وبعيدين عن الله كل البعد- وذلك لكي يحفظوا عن ظهر قلب عبارات العبادة المذكورة..

69- عن المراجع الآتية (أ) تاريخ الكنيسة لموسهيم

(ب)مختصر تاريخ الكنيسة لأندرو مولر

(ج)ريحانة النفوس في أصل المعتقدات والطقوس. والمراجع التي سيشار إليها فيما بعد.

الملحق

شرح العبارات المشار إليها بالحروف الأبجدية

(أ)-مما تجدر الإشارة إليه أن هرون وبنيه لم توضع عليهم الملابس في وقت واحد، بل وضعت على هرون أولاً على مرأى من أبنائه،

وكان ذلك رمزاً إلى أن المسيح (حتى بوصفه كابن الإنسان، رئيس الكهنة) هو متقدم في كل شيء (مزمور 45: 7)، وفي الوقت نفسه هو الذي يجب أن تتجه إليه أنظار المؤمنين الحقيقيين، ليشاهدوا أمجاده التي تبعث الشبع والسرور إلى نفوسهم.

(ب)-أما هرون فقد مسح بالدهن قبل أبنائه بل وقبل عمل الكفارة أيضاً، وكان ذلك إشارة إلى أن المسيح بسبب قداسته الذاتية حل محل الروح القدس عليه (متى3: 16) قبل قيامه بالكفارة، وذلك على النقيض منا جميعاً، فإن الروح القدس لم يسكن فينا، إلا بعد تكفير المسيح عن خطايانا (أفسس 1: 13). حقاً إن نعمة الله الغنية وضعتنا نحن الخطاة الذين لا نستحق سوى الهلاك الأبدي، في مركز رفقاء للمسيح بمجرد أن آمنا به إيماناً حقيقياً (عبرانيين2: 11)، لكن ينبغي ألا يفوتنا أن المسيح يجب أن يكون حتى من الناحية الناسوتية، متقدماً في كل شيء كما ذكرنا. وذلك بسبب قداسته الذاتية التي لا حد لها.

(ج)-ولكي نكون منقادين بالروح القدس، وليس بأفكارنا وعواطفنا البشرية، يجب أن نفطم أولاً نفوسنا عن محبة الذات والعالم، وأن نكون في حالة الهدوء النفسي التام- هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يجب أن نكون في حالة الصلة الروحية بالله والطاعة الكاملة لكلمته، حتى إذا كانت تتعارض مع رغباتنا أو ميولنا الشخصية. كما أن تدريب نفوسنا على الانقياد بالروح القدس في كل صغيرة وكبيرة تصادفنا في الحياة، يهيئنا لتمييز صوته بسهولة، ويجعلنا مستعدين لتنفيذ مشيئته بكل سرعة، حتى في أدق الأمور وأقساها بالنسبة إلى طبيعتنا البشرية.

(د)-إن كلمة مزمور هنا، لا يراد بها مزمور من مزامير داود أو غيره من رجال الله، بل يراد بها صلاة منظومة أو تسبحة، لأن استعمال المزامير في العبادة عند بعض المسيحيين لم يبدأ إلا في القرن الرابع، وذلك عندما ضعفت حياتهم الروحية، ولم يجدوا نفوسهم الاستعداد الكافي للانقياد في الصلاة بالروح القدس.

وبهذه المناسبة نقول: إن مزامير داود النبي وغيره من رجال الله، وإن كانت مصدراً هاماً للتعليم والإرشاد، كما أنه من الجائز أن نقتبس منها في صلاتنا العبارات التي تتناسب مع الظروف التي نجتاز فيها في الوقت الحاضر، غير أنه يجب ألا نتخذها بحذافيرها كل حين صلاة لنا. وقد عرف قدامى الأرثوذكس هذه الحقيقة، فقالوا "الصلاة التي

يرفعها المؤمنون بالروح إلى الله، هي أفضل بكثير من المزامير". وقالوا أيضاً "إننا لا نجد لأنفسنا عدداً خاصاً بنا من المزامير في كل صلاة. فإذا اعتمدنا على المزامير، نصبح تحت عبودية الأعداد، فنرتبط بها كل أيام حياتنا. ولكن ينبغي لنا في كل صلاة أن نثبت حسب الإمكان، وعلى قدر الوقت ومعونة النعمة، على كل صلاة" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص49و 471و 596)، الأمر الذي يدل على أنه لم تكن لديهم أي صلاة يحفظونها عن ظهر قلب، كما هو متبع عند بعض المسيحيين في الوقت الحاضر.

ويرجع السبب في تفضيل القدامى الصلاة بالروح على الصلاة بالمزامير، أن من يصلي بالمزامير كما هي، لا يصلي في الواقع بدافع من شعوره الشخصي أو من إرشاد روح الله له، بل يكرر صلاة أشخاص عاشوا في ظروف خاصة لا تتفق في معظم الأحوال مع ظروفه. لأن العبارات ("قربوا للرب أبناء الكباش" و "صوت الرب يزلزل برية قادش" و "اذكر (يا رب) رهب وبابل اللتين يعرفانني" و "اذكر يا رب داود وكل ذله") التي يرددها إلى الآن بعض المسيحيين في صلوات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة، نقلاً عن المزامير المذكورة، لا يليق أن تكون صلاة شخص مسيحي في أي عصر من العصور.

(هـ)-كلمة "طقس" هذه، ليست عربية بل معربة عن الكلمة اليونانية "تاكسيس". ومعناها "ترتيب" أو "رتبة"، ولا علاقة لهذه الكلمة في الأصل اللغوي بالعبادة على الإطلاق. والدليل على ذلك أنه جاء في أوائل كتاب تعليم اللغة القبطية: العبارة "الفافيتون إن أتاكسيس" أي "حروف الهجاء (ألف باء) بدون ترتيب". وجاء في الكتب الدينية أن دبورة لم يرتفع قلبها، بل كانت تذكر طقس النساء وتقول إن الرجل هو رأسها (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 317، 82، 246). ومع ذلك فقد استعمل رجال الدين هذه الكلمة للدلالة على الأعمال التي يشيرون بها في صلواتهم، إلى بعض الحقائق أو الحوادث الدينية.

ومع أن الذين يتمسكون بالكهنوت الحرفي يعتزون بالطقوس، لكن من تغلغلت كلمة الله في نفوسهم، لا يعبثون، بها. فقد قالوا "إن الذين بلغوا هذه الدرجة من النقاوة، يكونون غير مفتقرين إلى ترتيب الخدمة. لكن بتحركات الروح القدس ترتفع عقولهم عن طقس الصلاة". كما قالوا "ماذا نفعل إزاء النفوس التي تحصنت وراء الطقوس والشكليات، وقبل

أن تصل إلى درجة الروحانية، بردت وخمدت واستترت وراء النظام المألوف والصلوات الموضوعة!!" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 85و 86و 471).

(و)-أما القول (إن الكنيسة المسيحية هي إسرائيل العهد القديم، ومن ثم يجب أن تسير العبادة فيها على مثال العبادة اليهودية، بعد صبغها بصبغة مسيحية، لأن المسيح لم يأتِ لينقض الناموس بل ليكمله (متى 5: 17)) فلا يجوز الأخذ به. لأنه فضلاً عن أن اليهودية شيء والمسيحية شيء آخر، فالأولى أرضية مادية بينما الثانية سماوية روحية، فإن تكميل المسيح للناموس يراد به نقل الوصايا من المفهوم الحرفي الذي اصطلح عليه اليهود، إلى المفهوم الروحي الذي قصده الله منها (انظر متى 5: 21- 22). وإذا طبقنا هذا الشرح على الموضوع الذي نحن بصدده، يكون المراد بتكميل المسيح للناموس هو نقل العبادة من المظهر إلى الجوهر، ومن الرمز إلى الحقيقة، ومن أعمال الجسد إلى أعمال الروح، كما اتضح لنا مما سلف.

(ز)-كان البخور يستعمل عند المسيحيين في القرون الثلاثة الأولى لإصلاح رائحة الكهوف، التي كانوا يجتمعون للصلاة فيها. ثم استعمل عند بعضهم بعد ذلك للغرض الذي كان مستعملاً لأجله لدى اليهود قديماً. وقد عرف الأتقياء من الأرثوذكس أن البخور ليس عنصراً هاماً في العبادة. فقد قالوا "إن رائحة البخور الذكية المرتفعة إلى العلاء ترمز إلى صلوات القديسين (كتاب لماذا أنا أرثوذكسي ص 41). كما قالوا "الدموع أثناء الصلاة هي علامة الحياة الطيبة. فاسكبوا الدموع أمام الله لكي تصير صلواتكم كالبخور أمامه" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 459)- وإذا كان الأمر كذلك، يجب أن نكون قديسين في حياتنا حتى تكون عبادتنا مقبولة أمام الله. لأنه لا فائدة من البخور إذا كانت صلواتنا غير مقبولة أمامه، ولا ضرورة لهذا البخور إذا كانت مقبولة. إذ أننا لا نعيش الآن في عهد الرموز بل في عهد الحقائق.

(ح)-كانت الشموع والسرج تستعمل عند المسيحيين في القرون الثلاثة الأولى لإضاءة الكهوف. التي كانوا يجتمعون للصلاة فيها. ثم استعملت بعد ذلك عند بعضهم رمزاً إلى نور الله أو إلى نور الإنجيل. لكن استعمالها لهذا الغرض أو ذاك لا مبرر له على الإطلاق، لأننا لا نعيش في عهد الرموز بل في عهد الحقائق كما ذكرنا. وقد عرفنا من الكتاب المقدس

أن السبيل الحقيقي للتمتع بنور الله، هو نقاوة القلب والسلوك بالقداسة أمامه (متى 5: 8، عبرانيين 12: 14)، وأن السبيل إلى إعلان نور الإنجيل للناس، هو تطبيق تعليم الإنجيل على حياتنا، إذ بهذه الوسيلة يرى الناس أعمالنا الصالحة ويمجدوا أبانا الذي في السموات (متى5: 16).